نقدات أبي هلال العسكري لشعر أبي الطيب المتنبي في الصناعتين

عرض ودراسة

إعداد

د / رضـا السـعـيد فـايد

أستاذ البلاغة والنقد المساعد

في كلية اللغة العربية فرع جامعة الأزهر

بإيتاي البارود

١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

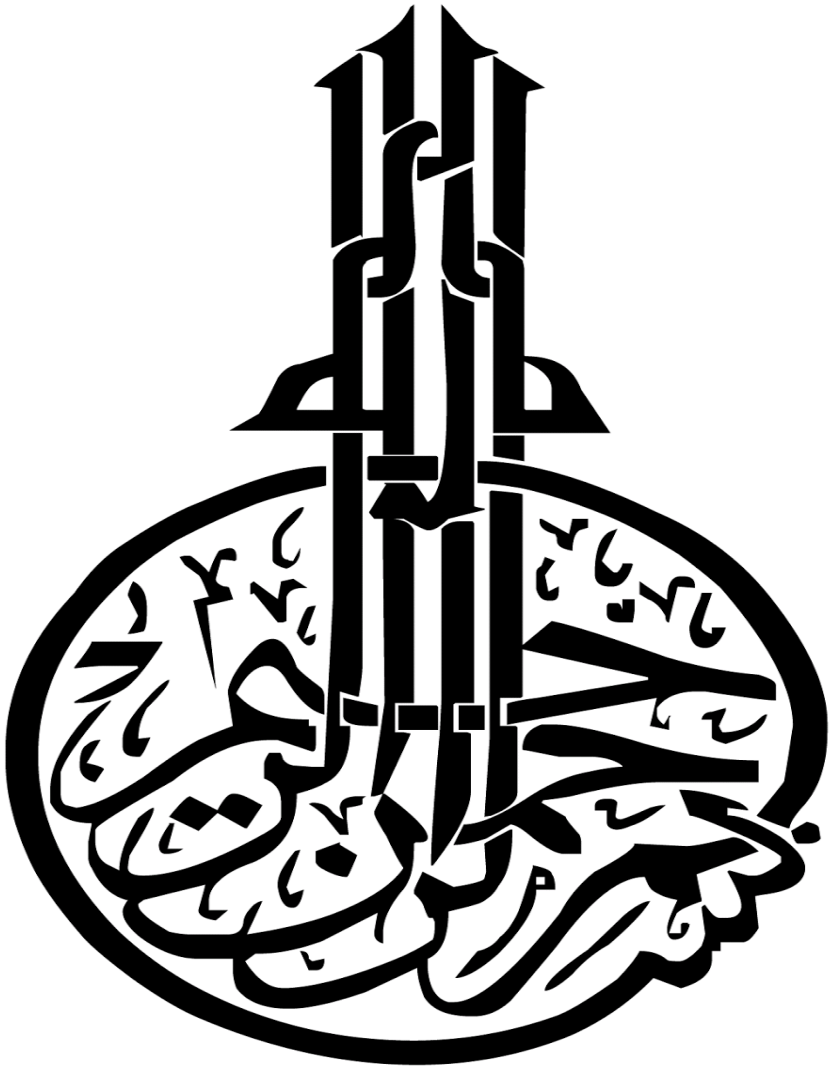

نقدات أبي هلال العسكري لشعرأبي الطيب المتنبي في الصناعتين عرض ودراسة

د. رضا السعيد فايد

أستاذ البلاغة والنقد المساعد -كلية اللغة العربية فرع جامعة الأزهر بإيتاي البارود-جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني:

redazayed.419@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

هذا البحث يهدف إلىٰ تثوير التراث وبيان شيء من ذخائره من خلال بيان موقف أبي هلال العسكري النقدي من شعر أبي الطيب المتنبي في كتاب الصناعتين ، وهل اتسم هذا النقد بالموضوعية أم غلب علىٰ نقده التحامل والتعصب؟! خاصة أن شعر المتنبي يشكل المادة الخصبة التي اعتمد عليها العلماء في بيان الأسس البلاغية والنقدية.

الكلمات المفتاحية: أبي هلال العسكري / أبي الطيب المتنبي / الصناعتين

Abu Hilal's military criticisms of My Father's good poetry in the two industries show and study

Dr. Reda Al ، Said Fayed
Professor of Rhetoric and Associate Criticism -Faculty of Arabic LanguageBranch of Al-Azhar University in Itai Gunpowder-Arab Republicof Egypt.
E-mail: redazayed.419@azhar.edu.eg

Abstract:

This research aims to revolutionize the heritage and clarify some of its repertoires through the statement of Abu Hilal Al-Askari's critical position on the poetry of Abu Al-Tayyib Al-Mutanabbi in the book "El senaatin." Was this criticism characterized by objectivity، or was his criticism dominated by prejudice and intolerance?!

Especially that Al-Mutanabbi's poetry constitutes the fertile material on which scholars relied in clarifying the rhetorical and critical foundations.

Keywords:Abu Hilal Al-Askari - Abu Tayeb Al-Mutanabbi - El-senaatien

مقدمة

الحمد لله حمدا يبلغ رضاه ، وأشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسوله ومجتباه ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلىٰ آله وصحبه الأطهار وعلىٰ كل من سار علىٰ هديه واستن بسنته إلىٰ يوم الدين . .....وبعد :

فهذا البحث ينبع من أمور :

الأول : هو ضرورة العناية بالتراث وتشويره والتدبر فيه و إلقاء الضوء عليه من خلال بيان شيء من ذخائره وعظيم نفائسه ؛ لقناعتي التامة أنه لا حاضر لنا ولا مستقبلا إلا بالاتكاء علىٰ هذا التراث الغني الذي علم الدنيا كلها ؛ فهوالتربة الخصبة المهيئة لنمو وازدهار ثقافتنا وآدابنا ، وبدون هذا التراث فأي محاولة ثقافية : نقدية أوبلاغية أوغيرهما ، ماهي إلا ريشة معلقة يطيرها الهواء كيفما شاء ، فلا ثبات لها ولا حياة بل سرعان ما تذبل وتُجتث من فوق الأرض ما لها من قرار ، وليت الأمر وقف عند حد مقاطعة التراث واستجلاب نظريات نقدية غربية ماتت عند أصحابها لا صلة لفطرتنا بها ولا بيئتنا ولا كينونتنا بل أخذ هؤلاء يتلمسون المعابة لأسلافهم ويحملونهم كل أخطاء الواقع المرير ، ولو أنصفوا لعكفوا علىٰ تراثهم يستلهمون منه النور وأسباب التقدم وعلاج الواقع ؛ ولذلك وجهت وجهي إلىٰ علم من علماء البلاغة و النقد في القرن الرابع الهجري هو أبوهلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) الذي يمثل حلقة مهمة وقوية في حلقات الدرس البلاغي والنقدي .

الثـــاني : قـراءة الشـاهد الشـعري قـراءة فاحصـة تراعـي الأبعـاد المختلفـة والسـياقات المتداخلـة التـي أسـهمت في تشـكيل الـنص ، وعـدم قـراءة البيـت بمعـزل عـن القصـيدة كلهـا ونفسـية وظـروف قائلهـا ومراعـاة كـل ذلـك في الحكـم النقـدي ، ومـدىٰ توافـق كـل ذلـك مـع مـا استقر عليه الدرس البلاغي .

الثالـث : اتهـام أبـي هـلال بالتحامـل علـىٰ المتنبـي(ت. ٣٥٤هـ) يقـول الـدكتور ذكـي مبـارك:" وتحامـل أبـي هـلال علـىٰ المتنبـي هـو المطعـن الظـاهر في أخلاقـه ، فقـد كـان يسـتطيع أن ينقـد شـعر المتنبـي فيظهـر الجيـد منـه والـردئ ، ولكـل شـاعر جيـد وردئ ولكنـه سـلك خطـة واحـدة هـىٰ الـنص علـىٰ السـخيف مـن شـعر المتنبـي مـع التعـامي عـن معانيـه الجيـدة وخيالـه الوثـاب فانضـم بـذلك إلـىٰ النقـاد المغرضـين الـذين كلفـوا بالبحـث عـن عيـوب المتنبـي ابتغـاء مرضـاة الـوزير ابـن عباد " [1]

وأرجـع الـدكتور/ منـدور هـذا التحامـل إلـىٰ ذوق أبـي هـلال العسـكري نفسـه ومنحـاه في الحكـم علـىٰ الشـعرولم يـرتض أن يكـون سـبب هـذا التحامـل إرضـاء الصـاحب بـن عبـاد لوفـاة الصـاحب عـام ٣٨٥هـ ، وفـراغ أبـي هـلال مـن تـأليف الصـناعتين سـنة ٣٩٤هـ ، فكيـف يتحامل علىٰ المتنبي إرضاء لمن توفي ؟! [2]

---

(١) النثر الفني في القرن الرابع الهجري د/ زكي مبارك . ص ٤٥٠ مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافـــــــة ٠ القاهرة ٠ بدون ٠

(٢) ينظر : النقد المنهجي عند العرب د/ محمد مندور ٠ ص ٢٢٥ وما بعدها . دار نهضة مصر ٠ ط ١٩٩٦م.

ولعل خمول ذكر أبي هلال كان له أثر كبير في تحامله علىٰ المتنبي الذي كان ملء السمع والبصر وأبوهلال كان يتبرم في شعره من عدم تقدير الناس له وأخذه المكانة اللائقة به ،ومن شعره في ذلك:

جلوسي فِي سوق أبيع وأشتري دَلِيل علىٰ أَن الْأَنَام قرود
وَلَا خير فِي قوم يذل كرامهم ويعظم فيهم نذلهم ويسود
ويهجوهم عني رثاثة كسوتي هجاء قبيحا مَا عَلَيْهِ مزِيد[1]

ومما ينبئ عن بؤسه وشقائه – علىٰ الرغم من علمه وأدبه وفضله حتىٰ وصل به الحال إلىٰ لعن أدوات العلم :

إذا كَانَ مَالِي مَال من يلقط الْعَجم وحالي فِيكُم حَال من حاك أَو حجم
فَأَيْنَ انتفاعي بالأصالة والحجا وَمَا ربحت كفي علىٰ الْعلم وَالْحكم
وَمن ذَا الَّذِي فِي النَّاس يبصر حالتي وَلَا يلعن القرطاس والحبر والقلم[2]

فشخصية المتنبي العظيمة وإحساس أبي هلال بانصراف وجوه الناس عنه جعله لا ينظر الىٰ المتنبي إلا من خلال عين السخط .

فأردت أن أتبين عن قرب هذا الموقف النقدي من شعر المتنبي وإلىٰ أي مدىٰ كان أبوهلال موفقا في نقداته ، **وهل اتسم نقده بالحيدة والاعتدال أم أن الهوى والتعصب غلبا على أبي هلال ؟!**

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب . ابن حجة الحموي. ج ١ ص ٢٣١. ت. أ/ عصام شقيو دار ومكتبة الهلال-بيروت ط ٢٠٠٤م

(٢)السابق والصفحة .

الرابع : أن شعر المتنبي يشكل المادة الخصبة التي اعتمد عليها العلماء في بيان الأسس البلاغية والنقدية ، فالمتنبي شغل الناس ومازال يشغلهم ، و قامت حوله حركة نقدية عاتية عنيفة واضحة الملامح ، فمن مؤيد له منافح عنه بالغ بشعره حدا لا يدانيه فيه شاعر ، كابن جني (ت.٣٩٢هـ) وأبي العلاء (ت. ٤٤٩هـ)، وبين آخرين قدحوا فيه وذموه وعابوه وقعدوا له كل مقعد ولم ينظروا في شعره إلا من خلال مرآة السخط كالصاحب ابن عباد (ت . ٣٨٥هـ) والحاتمي (ت. ٣٨٨هـ)وابن وكيع (ت. ٣٩٣هـ) وسلك القاضي الجرجاني(ت . ٣٩٢هـ) مسلكا علميا وسطا بين المتنبي وخصومه ظهرت فيه الروح الأدبية والأحكام النقدية المعللة بمقاييس دقيقة ، ومن علماء هذه المدرسة : الثعالبي(ت . ٤٢٩هـ) وابن رشيق (ت . ٤٥٦هـ)وابن سنان الخفاجي (ت . ٤٦٦هـ) فقد تعاملوا مع شعر المتنبي بموضوعية وحيادية فذكروا ما له وما عليه .

فالمتنبي كان ركنا رئيسا في الحركة النقدية التي ازدهرت في القرن الرابع الهجري ، بل إن شعر المتنبي كان له أبلغ الأثر في تلك الحركة النقدية ؛ وما ذاك إلا لتميزه وعبقرية شاعريته وقوة أسلوبه وتنوع ثقافته وثراء لغته وسعة خياله وغزارة علمه حتىٰ بالغ أبو العلاء وسمىٰ ديوان المتنبي (معجز أحمد) ؛ ولا أدل علىٰ ذلك من أن كل عصر من العصور لم يخل من شعراء متنافسين ، ففي الشعر الجاهلي نجد التنافس والتقارب بين أصحاب المعلقات ، وفي العصر الأموي يسطع ظل جرير(ت. ١١٠هـ) والفرزدق (ت.

١١٠هـ) والأخطل (ت.٩٢هـ) ، وفي العصر العباسي يختلف النقاد حول شعر أبي تمام(ت. ٢٣١هـ) والبحتري (ت. ٢٨٤هـ) ولما جاء المتنبي انكب العلماء حول شعره فلم يقارنوه بغيره ؛ لأنه لم يلحقه منافس ولم يقاربه شاعر بل هو المتنبي الشمس التي سطعت والسحاب الهتن الذي لم ينقطع .

الخامس : لم أجد بيتا للمتنبي ذكره أبوهلال العسكري في تراث الإمام عبدالقاهر الجرجاني ، وقد كان لي وقفة مع نقدات الإمام عبدالقاهر لشعر أبي الطيب المتنبي في الأسرار ؛ وما ذاك إلا لأن الإمام كان مشغولا بنظرية الجمال وبيان أسراره فلم يجد أفضل ولا أجمل من شعر أبي الطيب ، كما أنه جعل من شعر المتنبي رافدا مهما من روافد استنباط القواعد ، ومعرفة أسس الجمال في التعبير والتمييز بين الجيد والردئ، كما بين من خلال شعره متىٰ تخفق المعاني ويتدنىٰ التعبير ويحدث الخطأ ، ومتىٰ ترتقىٰ المعاني وتعلو رتبتها[1] وهذا الموقف النقدي مخالف تمام المخالفة لموقف أبي هلال العسكري من شعر أبي الطيب فهو لم ينشغل إلا بمعايبه كما سيتضح في ثنايا البحث .

فكان كل ذلك مغريا بتتبع نقدات أبي هلال العسكري لشعر أبي الطيب المتنبي والوقوف معها في الصناعتين فكان هذا البحث :

(١) ينظر : نقدات الإمام عبد القاهر الجرجاني لأبىٰ الطيب المتنبي في أسرار البلاغة " عرض ودراسه " للباحث / رضا السعيد فايد ص ٤٩٣ وما بعدها المجلد السادس من العدد الثلاثين لحولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية.

وقد دارت هذه النقدات حول الألفاظ والمعاني و المطالع

ولذلك جاءت هذه الدراسة علىٰ النحو الآتي :

مقدمة وفيها أهمية الموضوع وعملي فيه .

تمهيد وفيه :

أولا : التراث النقدي لأبي هلال العسكري .

ثانيا : ثبت بأبيات المتنبي التي وردت في الصناعتين.

الفصل الأول : نقدات أبي هلال لألفاظ أبي الطيب .

الفصل الثاني :نقدات أبي هلال لمعاني أبي الطيب .

الفصل الثالث :نقدات أبي هلال لمطالع أبي الطيب.

الخاتمة وفيها أهم النتائج .

وثبت المصادروالمراجع ثم فهرس الموضوعات .

والله أسأل القبول والتوفيق والسداد اللهم آمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

د/ رضا السعيد فايد

غرة رجب الفرد ١٤٤٢هـ

تمهيد :

أولا : التراث النقدي عند أبي هلال العسكري :

أبوهلال العسكري من علماء القرن الرابع الهجري (ت ٣٩٥هـ) وقد ترك للمكتبة العربية تراثا ذاخرا بشتىٰ العلوم والآداب ، وتمثل تراثه النقدي في كتابيه : الصناعتين و ديوان المعاني.

وكتاب الصناعتين من أهم كتب التراث البلاغي والنقدي ؛ إذ بدأت ملامح علم البلاغة تتضح وأسسه تكتمل واسم الكتاب يدل علىٰ أن النظر في المنتج الأدبي خرج من طور الانطباع والتأثر والانفعال إلىٰ طور الصنعة والمنهجية والأحكام المؤسسة علىٰ أسس ومعايير علمية واضحة ، وهو لا يبين هذه المعالم والأسس إلا لغاية ربانية هي بيان إعجاز القرآن الكريم ؛ لأن ذلك الإعجاز لن يتأتىٰ إلا بمعرفة أرقىٰ طبقة بيان وصل لها اللسان العربي ، **يقول أبوهلال العسكري** : "وقد علمنا أنّ الإنسان إذا أغفل علم البلاغة، وأخلّ بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصّه الله به من حسن التأليف ، وبراعة التركيب ، وما شحنه به من الإيجاز البديع، والاختصار اللطيف؛ وضمنّه من الحلاوة، وجلّله من رونق الطّلاوة، مع سهولة كلمه وجزالتها، وعذوبتها وسلاستها، إلىٰ غير ذلك من محاسنه التىٰ عجز الخلق عنها، وتحيّرت عقولهم فيها ، وإنما يعرف إعجازه من جهة عجز العرب عنه، وقصورهم عن بلوغ غايته، في حسنه وبراعته، وسلاسته ونصاعته ، وكمال معانيه، وصفاء ألفاظه".[1]

---

(١) كتاب الصناعتين : الكتابة والشعر . أبو هلال العسكري . ص ٧ت .أ/ علي محمدالبجاوي وأ/ محمد أبوالفضل إبراهيم مكتبة عيسىٰ الحلبي . ط الثانية ١٩٧١م.

فأبوهلال يستشهد بالمنظوم والمنثور وقوفا علىٰ طرائق العرب في إبداع كلامهم ، ووصولا إلىٰ دلالة واضحة وقوية هي إعجاز القرآن الكريم ؛ لأن أرباب البيان قد وضحت بضاعتهم وتكشفت وسائلهم في الإبانة عن مكنون نفوسهم والتعبير عن كافة وجوه حياتهم ، فالمتلقي بعد ذلك يقضي عن يقين بأن هذا الكتاب من عند الله ولا طاقة لبشري به فيزداد الذين آمنوا إيمانا، ويؤمن من كان له من الفهم والعقل نصيب وينقلب الحاقد خاسئا وهو حسير .

وقد جعل أبوهلال في هذا الكتاب البلاغةَ أداة نقدية يستطيع العالم بها أن يفرق بين كلام جيد وآخر رديء ولفظ حسن وآخر قبيح ، يقول أبوهلال : "ولهذا العلم بعد ذلك فضائل مشهورة، ومناقب معروفة ، منها أنّ صاحب العربية إذا أخلّ بطلبه، وفرّط في التماسه، ففاتته فضيلته، وعلقت به رذيلة فوته، عفي علىٰ جميع محاسنه، وعمّىٰ سائر فضائله ؛ لأنه إذا لم يفرق بين كلام جيّد، وآخر ردىٰ؛ ولفظ حسن، وآخر قبيح؛ وشعر نادر، وآخر بارد، بان جهله، وظهر نقصه"[1]

كما أن البلاغة هي طريق الناظم والناثر في تجنب الخطأ والولوج إلىٰ أعلىٰ درجات البيان الراقي يقول أبوهلال : ".وهو أيضا – أي صاحب العربية – إذا أراد أن يصنع قصيدة، أو ينشىء رسالة– وقد فاته هذا العلم– مزج الصّفو بالكدر، وخلط الغرر بالعرر ، واستعمل الوحشىٰ العكر؛ فجعل نفسه مهزأة للجاهل، وعبرة للعاقل"[2]

(١) كتاب الصناعتين : الكتابة والشعر ص ٨.

(٢) السابق والصفحة.

وهو في سبيل ذلك يضع القواعد والأصول التي يحتاج إليها في صنعة الكلام : نثره ونظمه ، في عشرة أبواب :

الباب الأول: في الإبانة عن موضوع البلاغة في أصل اللغة .

الباب الثاني: في تمييز الكلام جيده من رديئه ومحموده من مذمومه.

الباب الثالث: في معرفة صنعة الكلام.

الباب الرابع: في البيان عن حسن السبك وجودة الرصف.

الباب الخامس: في ذكر الإيجاز والإطناب.

الباب السادس: في حسن الأخذ وقبحه وجودته ورداءته.

الباب السابع: القول في التشبيه.

الباب الثامن: في ذكر السجع والازدواج.

الباب التاسع: في شرح البديع والإبانة عن وجوهه وحصر أبوابه وفنونه.

الباب العاشر: في ذكر مقاطع الكلام ومباديه والقول في الإساءة في ذلك والإحسان فيه[1]

وقد اشتملت هذه الأبواب علىٰ كثير من الشواهد القرآنية والنبوية والشعرية والنثرية وهذا يدل علىٰ أهمية هذا الكتاب ودوره المؤسسي في النهوض بهذا العلم وبناء صرحه العالي ، فالكتاب يمثل البلاغة التطبيقية في أوضح صورها .

وقد أردت أن أثبت غاية أبي هلال من التأليف في هذا العلم وصنيعه فيه ؛ لأن أي نظرية نقدية بعيدة عن هذه الغايات فهي عبث محض ، إن

(١) الصناعتين ص ١١.

البنيوية والتفكيكية وتداعيات الحداثة وما بعد الحداثة لا تستطيع أن تقترب من بيان القرآن الكريم ، ولا تستطيع أن تنشيء أديبا ولا أن تميز بين كلام وغيره ، ولا تستشعر خلجات النفس ونبض القلب بالمعاني ، إنني كنت أعجب بعناوينهم الرنانة وكلماتهم الجذابة فأحدهم مثلا يكتب بحثا بعنوان (سينية شوقي . دراسة بنيوية) فأهرع إليه لأخرج بمعنىٰ يبل الريق أو يشرح القلب أو يوضح تجربة الشاعر وأبعادها فلا أقف علىٰ شيء من هذا ، مع أن مهمة التحليل إضاءة النص وبيان جماله ودقة ألفاظه ومدىٰ قدرته علىٰ التعبير عما يجيش في النفس ، بل العجب أن تقرأ القصيدة أو العمل الأدبي فتتأثر به وقد تفرح أو تبكي أو تصيبك حماسة ، فالعمل القوي يؤثر في المتلقي علىٰ حسب الغرض فإذا قرأت تحليلهم فلن تجد إلا الإلغاز والتعمية ، فلا تملك إلا أن تقول : يا خفي الألطاف نجنا مما نخاف .

إن تلقي النظريات يجب أن يحقق الأهداف العظيمة التي من أجلها وجدت علوم العربية نفسها ، فإذا ما تمسكنا بهذه الأهداف تساقطت كل النظريات علىٰ أعتاب قدسية هذه العلوم الطاهرة وإذا ما تسللت هذه النظريات إلىٰ ساحتنا فهي أشبه بجسم غريب لا يتناغم مع بقية أجزاء الجسد ، بل إن هذا الجسد صاحب المناعة القوية سرعان ما يلفظ هذا الجسم الغريب ويطرده .

أما ديوان المعاني فقد جمع فيه أبو هلال "أبلغ ما جاء في كل فن وأبدع ما روي في كل نوع من أعلام المعاني وأعيانها إلىٰ عواديها وشذاذها"[1] وتخير من هذه المعاني كما يقول : "ما كان جيد النظم محكم الرصف غير مهلهل ولا رخو ولا متجعد فج "[2] وجعله اثني عشر بابًا، أولها

(١) ديوان المعاني . أبوهلال العسكري ص ٧ .مكتبة القدس . ط. ١٣٥٢هـ.

(٢)السابق ص ٧ .

باب "في التهاني والمديح والافتخار" وآخرها باب "في صفة أشياء مختلفة" ختم بها ديوان المعاني ، وقد ألف أبوهلال هذا الكتاب ليكسب الأديب ثقافة واسعة لا غنىٰ له عنها إذا أراد السبق وعلو الشأن يقول – رحمه الله – " هذا نوع من الكلام لا يزال الأديب يسأل عنه في المجالس الحافلة والمشاهد الجامعة إذا أريد الوقوف علىٰ مبلغ علمه ومقدار حفظه فإن سبق إليه في بالجواب جل قدره وفخم أمره، وإن نكص عن ميدانه وشال في ميزانه قلت الرغبة فيه وانصرفت القلوب عنه"[1]

فأبوهلال يقدم هذا الكتاب مأدبة للأدباء تمكنهم من الإبداع في المجالس العلمية الحافلة ، فالكتاب بمثابة التأهيل العلمي لهم ، ولا شك أن هذه الاختيارات الشعرية خاضعة لذوق أبي هلال واختياره لها بمثابة حكم نقدي بجودتها ، ولم يخل الكتاب من الموازنات والترجيحات وبيان أصالة المعاني وحسن الأخذ والسرقات ، وكان متحاملا علىٰ المتنبي في هذا السفر – أيضا – فكان نادرا ما يستشهد بشعره في مقام الاستحسان .

(١)ديوان المعاني . أبوهلال العسكري ص ٧.

ثانيا : ثبت بأبيات المتنبي التي نقدها أبوهلال في الصناعتين :

١- جَفَخـتْ وهم لا يجفَخونَ بهـا بِهِمْ شِـيَمٌ علىٰ الحَسَـبِ الأغَرّ دَلائِلُ [١]

٢- أينَ البَطـارِيقُ وَالحَلْفُ الـذي حَلَفوا بمَفرِقِ المَلْـكِ وَالزّعمُ الـذي زَعَموا [٢]

٣- ولا الضِّـعْفَ حتىٰ يَتبَعَ الضِّـعفَ ولا ضِعفَ ضِعفِ الضِّعفِ بل مثله ألْفُ [٣]

٤- فقَلْقَلْتُ بالهَمّ الـذي قَلْقَلَ الحَشَـا قَـلاقِـلَ عِـيـسٍ كُـلّـهُـنّ قَـلاقِـلُ [٤]

٥- وَتُسْـعِـدُني في غَـمرَةٍ بَعـدَ غَـمْرَةٍ سَـبُوحٌ لهَـا مِنهَـا عَلَيْهَـا شَـوَاهِـدُ [٥]

٦- إني علىٰ شـغفي بمـا في خمرهـا لأعـفّ عـمـا في سـراويـلاتـهـا [٦]

٧- فـتًـىٰ ألْـفُ جُـزْءٍ رَأيُـهُ في زَمَـانِـهِ أقـلُّ جُـزَيْءٍ بـعضُـهُ الـرّأيُ أجـمَـعُ [٧]

٨- تَـتَـقـاصَـرُ الأفـهـامُ عَـنْ إدْراكِـهِ مِـثْـلَ الـذي الأفْـلاكُ فـيـهِ والـدُّنَـىٰ [٨]

٩- فلا غِيضَـتْ بحـارُكَ يـا جَمُومـًا عـلـىٰ عَـلَـلِ الـغَـرائـبِ والـدِّخـالِ [٩]

١٠- ليس قوْلي في شمس فعلك كالشّمْـ ـسِ ولكن كالشّـمسِ في الإشـراقِ [١٠]

---

(١)لبيت في الصناعتين ص ٦٨، وفي ديوان المتنبي ص ١٧٩، دار بيروت للطباعة والنشر . ط ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

(٢) البيت في الصناعتين ص ١٥٥، وفي ديوان المتنبي ص ٤١٩ .

(٣)البيت في الصناعتين ص ٣٤٥، وفي ديوان المتنبي ص ١٠٨

(٤)البيت في الصناعتين ص ٣٩٩و ٣٤٥، وفي ديوان المتنبي ص ٣٤.

(٥) البيت في الصناعتين ص ١٦٦ ، وفي ديوان المتنبي ص ٣١٩.

(٦)البيت في الصناعتين ص ٣٨٤، وفي ديوان المتنبي ص١٨٥ .

(٧)البيت في الصناعتين ص ٣٧٦، وفي ديوان المتنبي ص٣١.

(٨)البيت في الصناعتين ص ٣٧٦، وفي ديوان المتنبي ص ١٥١ .

(٩)البيت في الصناعتين ص ٣٨٠، وفي ديوان المتنبي ص ٢٦٨ .

(١٠)البيت في الصناعتين ص ٣٨٠، وفي ديوان المتنبي ص ٢٣٩ .

١١- عَجِبَ الوُشـاةُ من اللّحاةِ وَقوْلِهِمْ دَعْ ما نَراكَ ضَـعُفْتَ عن إخفائِهِ[١]

١٢- فقَلْقَلْتُ بالهَمّ الذي قَلْقَلَ الحَشَا قَلاقِلَ عِيسٍ كُلّهُنّ قَلاقِلُ[٢]

١٣- نَهَبتَ مِنَ الأعمارِ ما لَو حَوَيتَهُ لَهُنِّئتِ الدُنيا بِأَنَّكَ خالِد[٣] المضاعفة

١٢- أَريقُكِ أَم ماءُ الغَمامَةِ أَم خَمرُ بِفِيَّ بَرودٌ وَهوَ في كَبِدي جَمرُ[٤]

١٤- كُفّي أَراني وَيكِ لَومَكِ أَلوَما هَمٌّ أَقامَ عَلىٰ فُؤادٍ أَنجَما[٥]

١٥- أَبا عَبدِ الإِلَهِ مُعاذٌ إِنّي خَفِيٌّ عَنكَ في الهَيجا مَقامي[٦]

١٦- هَذي بَرَزتِ لَنا فَهُجتِ رَسيسا ثُمَّ اِنثَنَيتِ وَما شَفَيتِ نَسيسا[٧]

١٧- جَلَلاً كَما بِيَ فَليَكُ التَبريحُ أغِذاءُ ذا الرَشَأِ الأَغَنِّ الشيحُ[٨]

١٨- أَحادٌ أَم سُداسٌ في أَحاد لُيَيلَتُنا المَنوطَةُ بِالتَنادِ[٩]

١٩- لِجِنِّيَّةٍ أَم غادَةٍ رُفِعَ السَجفُ لِوَحشِيَّةٍ لا ما لِوَحشِيَّةٍ شَنفُ[١٠]

٢٠- بَقائي شاءَ لَيسَ هُمُ اِرتِحالا وَحُسنَ الصَبرِ زَمّوا لا الجِمالا[١١]

---

(١)البيت في الصناعتين ص ٣٩٤، وفي ديوان المتنبي ص٣٥١.

(٢)البيت في الصناعتين ص ٣٩٩و ٣٤٥، وفي ديوان المتنبي ص ٣٤.

(٣)البيت في الصناعتين ص ٤٤٢، وفي ديوان المتنبي ص٤٢١.

(٤)البيت في الصناعتين ص ٤١٣و٤٥٥، وفي ديوان المتنبي ص٦٢.

(٥)البيت في الصناعتين ص ٤٥٥، وفي ديوان المتنبي ص١٥.

(٦)البيت في الصناعتين ص ٤٥٥، وفي ديوان المتنبي ص ٥١.

(٧)البيت في الصناعتين ص ٤٥٥، وفي ديوان المتنبي ص٥٨.

(٨)البيت في الصناعتين ص ٤٥٦، وفي ديوان المتنبي ص٦٦.

(٩)البيت في الصناعتين ص ٤٥٦، وفي ديوان المتنبي ص ٨٥.

(١٠)البيت في الصناعتين ص ٤٥٦، وفي ديوان المتنبي ص ١٠٥.

(١١)البيت في الصناعتين ص ٤٥٦، وفي ديوان المتنبي ص ١٣٩.

٢١ – في الخَـدِّ أَن عَزَمَ الخَليطُ رَحيلاً مَـطَـرٌ تَـزيـدُ بِـهِ الـخُـدُودُ مُـحـولا [١]

٢٢ – نُـهَـنَّىٰ بصُـــورٍ أمْ نُـهَـنّـئُـهَـا بِـكَـا وقَـلّ الـذي صُـــورٌ وأنْـتَ لَـهُ لَـكَـا [٢]

٢٣– عَـذيـري مِـن عَـذارىٰ مِـن أمـورِ سَـــكَـنَّ جَـوانِـحـي بَـدَلَ الـخُـدورِ [٣]

٢٤ – سِـــربٌ مَحاسِـــنُهُ حُرِمتُ ذَواتِها داني الصِـــفـاتِ بَعيـدُ مَوصـــوفـاتِها [٤]

٢٥– أَنـا لائِمي إِن كُنـتُ وَقـتَ اللَوائِمِ عَلِمـتُ بِمـا بي بَينَ تِلـكَ المَعـالِمِ [٥]

٢٦– وَوَقـتٍ وَفي بِالـدَهرِ لي عِندَ واحِدٍ وَفي لـي بِـأَهـلـيـهِ وَزادَ كَـثـيـرا [٦]

٢٧– شَـديدُ البُعدِ مِن شُـربِ الشُـمولِ تُـرُنـجُ الـهِـنـدِ أَو طَـلـعُ الـنَـخـيـلِ [٧]

٢٨ – أَراعَ كَـذا كُـلّ الـمُـلـوكِ هُـمـامُ وَسَـــحَّ لَـهُ رُســلَ الـمُـلـوكِ غَـمـامُ [٨]

٢٩– أوِ بـديـلٌ مـن قـولـتـي واهَـا لـمـنْ نـأتْ والـبـديـلُ ذكـرَاهَـا [٩]

فهذه هي الأبيات التي تناولها أبوهلال في الصـناعتين وسـوف يتناولها البحث بشيء من التحليل والتفصيل :

(١)البيت في الصناعتين ص ٤٥٦، وفي ديوان المتنبي ص١٤٤.

(٢)البيت في الصناعتين ص ٤٥٦، وفي ديوان المتنبي ص١٤٨.

(٣)البيت في الصناعتين ص ٤٥٦، وفي ديوان المتنبي ص١٦٨.

(٤)البيت في الصناعتين ص ٤٥٦، وفي ديوان المتنبي ص ١٨٥.

(٥)البيت في الصناعتين ص ٤٥٦، وفي ديوان المتنبي ص٢٠٩.

(٦)البيت في الصناعتين ص ٤٥٧، وفي ديوان المتنبي ص ٢١٥.

(٧)البيت في الصناعتين ص ٤٥٧، وفي ديوان المتنبي ص ٣٤٣.

(٨)البيت في الصناعتين ص ٤٥٧، وفي ديوان المتنبي ص ٣٩٠.

(٩)البيت في الصناعتين ص ٤٥٧، وفي ديوان المتنبي ص ٥٣٧ .

الفصل الأول :

تمهيد :

تمحورت أسس أبي هلال النقدية حول قضية اللفظ والمعنىٰ ، بل إنه في معرض إبانته عن حدّ البلاغة لا يغفل اللفظ بل يجعله الأســاس في القبول والتمكن يقول أبوهلال : "البلاغة كلّ ما تبلّغ به المعنىٰ قلب السامع فتمكّنه في نفسه كتمكّنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن ، وإنما جعلنا حســن المعرض وقبول الصــورة شــرطا في البلاغة ؛ لأنّ الكلام إذا كانت عبارته رثّة ومعرضه خلقا لم يسمّ بليغا، وإن كان مفهوم المعنىٰ، مكشوف المغزىٰ"[1]

بل إنه انتصــارا للفظ جعل مدار البلاغة عليه يقول أبوهلال : "فمدار البلاغة علىٰ تخيّر اللفظ ، وتخيّره أصــعب من جمعه وتأليفه"[2] وهو لا يكتفي بتقرير ذلك بل يؤكد عليه فيقول : "ومن الدليل علىٰ أنّ مدار البلاغة علىٰ تحســين اللفظ أنّ الخطب الرائعة، والأشــعار الرائقة ما عملت لإفهام المعاني فقط، لأنَّ الردئ من الألفاظ يقوم مقام الجيد منها في الإفهام، وإنما يدلُّ حسن الكلام، وإحكام صنعته، ورونق ألفاظه، وجودة مطالعه، وحسن مقاطعة، وبديع مباديه، وغريب مبانيه علىٰ فضل قائله، وفهم منشئه ، وأكثر هذه الأوصاف ترجع إلىٰ الألفاظ دون المعاني". [3]

---

(١) الصناعتين ص ١٦ .

(٢)السابق ص ٢٩.

(٣)السابق ص ٦٤.

وأبوهلال لا يفتأ يؤكد علىٰ أن مدار البلاغة هو تحسين اللفظ ، بل إنه جعل تحسين اللفظ أعظم مدار للبلاغة ، يقول :" وهذا يدلّ علىٰ أنّ أعظم مدار البلاغة علىٰ تحسين اللّفظ، لأنّ المعاني إذا دخل بعضها في بعض هذا الدخول، وكانت الألفاظ مختارة حسن الكلام....."[1]

وفي موازنته بين قول الخنساء:

وإنّ صخراً لتأتمُّ الهداةُ به كأنه علمٌ في رأسه نارُ[2]

وقول الأعشى:

وتدفنُ منه الصالحاتُ وإن يسئ يكنْ ما أساءَ النارَ في رأس كبكَبا[3]

يذكر أبوهلال أن قول الخنساء : (في رأسه نار) تتميم عجيب، وأن أحدا: لم يستوف هذا المعنىٰ استيفاءها، وهو مأخوذ من قول الأعشىٰ السابق ويرجح بيت الخنساء ؛ لأنها أخرجته في معرض أحسن من معرض الأعشىٰ، فشهر واستفاض، وخمل معها بيت الأعشىٰ ورذل، و يخرج أبوهلال من هذه الموازنة بما يؤكد رأيه من أن مدار البلاغة تحسين اللفظ فيقول : "وهذا دليل علىٰ صحة ما قلنا من أنّ مدار البلاغة علىٰ تسحين اللفظ، وتجميل الصورة"[4]

---

(١) الصناعتين ص ٢٠١.

(٢) ديوان الخنساء ج٢ ص ٣٠٠ . ت. د/ إبراهيم عوضين . مطبعة السعادة . القاهرة . ط أولىٰ ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م .

(٣)ديوان الأعشىٰ ص ١١٣ ت . د. / محمد حسين . مكتبة الآداب بالجماميز ط ١٩٥٠م .

(٤) الصناعتين ص ٤٠٦.

ويؤكد علىٰ ضرورة تخير اللفظ وهو يتحدث عن مؤهلات الخطيب يقول : "أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة ، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، متخيّر اللفظ، لا يكلّم سيد الأمّة بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السّوقة".[1] وهذا الكلام منقول بنصه من البيان والتبيين.[2]

ويجعل أبوهلال من تمام آلات البلاغة "التوسّع في معرفة العربية، ووجوه الاستعمال لها ؛ والعلم بفاخر الألفاظ وساقطها، ومتخيّرها، ورديئها؛ ومعرفة المقامات، وما يصلح في كل واحد منها من الكلام"[3]

وأبوهلال لا يفتر من التأكيد علىٰ ذلك وأن الشأن هو تخير اللفظ يقول :" وليس الشأن في إيراد المعانىٰ، لأنّ المعانىٰ يعرفها العربىّ والعجمىّ والقروىٰ والبدوىٰ، وإنما هو في جودة اللفظ وصفائه، وحسنه وبهائه، ونزاهته ونقائه؛ وكثرة طلاوته ومائه، مع صحة السّبك والتركيب، والخلوّ من أود النّظم والتأليف ، وليس يطلب من المعنىٰ إلا أن يكون صوابا"[4]

وأبوهلال من أجل اللفظ يرفض المعنىٰ حتىٰ ولوكان جليلا نبيلا يقول : " والكلام إذا كان لفظه غثّا، ومعرضه رثّا كان مردودا، ولو احتوىٰ علىٰ أجلّ معنىٰ وأنبله، وأرفعه وأفضله"[5]

---

(١) ينظر : الصناعتين ص ٢٥.

(٢) ينظر : البيان والتبيين . الجاحظ .ج١ ص ٩٢. ت.أ/ عبدالسلام هارون . مكتبة الخانجي . القاهرة . ط السابعة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م

(٣)الصناعتين ص ٢٧.

(٤) السابق ص ٦٤.

(٥) السابق ص ٧٣.

وفي حديثه عن حسن الأخذ وما يتعلق بالسرقات لا يكترث للمعاني، بل يرىٰ أن الأخذ الحسن موقوف علىٰ تخير ألفاظ أخرىٰ لهذه المعاني يقول : "ليس لأحد من أصناف القائلين غنىٰ عن تناول المعانىٰ ممّن تقدّمهم والصبّ علىٰ قوالب من سبقهم؛ ولكن عليهم- إذا أخذوها- أن يكسوها ألفاظا من عندهم، ويبرزوها في معارض من تأليفهم، ويوردوها في غير حليتها الأولىٰ، ويزيدوها في حسن تأليفها وجودة تركيبها وكمال حليتها ومعرضها ؛ فإذا فعلوا ذلك فهم أحقّ بها ممّن سبق إليها"[1]، وهو في ديوان المعاني يعتمد اللفظ الحسن في ترجيح اختياراته الشعرية في شتىٰ الأغراض، فيستحسن قول الأعرابي (أبلغ الناس أسهلهم لفظًا، وأحسنهم بديهةً)[2] ويؤكد ذلك الاستحسان فيقول : " لأن سهولة اللفظ، وحسن البديهة، يدلان علىٰ جودة القريحة، والبلاغة الغريزية، ووعورة اللفظ، تدل علىٰ تكلف وتعسف، ولا شيء أذهب بماء الكلام، وطلاوته ورونقه منهما، ولا يحسن معهما الكلام أصلاً وإن كان لطيف المعنىٰ نبيل الصنعة"[3].

وأبوهلال في هذا المنحىٰ النقدي يعد امتدادا للجاحظ الذي قدم اللفظ علىٰ المعنىٰ يقول الجاحظ : (ومتىٰ كان اللفظ أيضا كريما في نفسه متخيرا في جنسه وكان سليما من الفضول بريئا من التعقيد حبب الىٰ النفوس واتصل بالاذهان والتحم بالعقول وهشت اليه الأسماع وارتاحت له القلوب وخف علىٰ ألسن الرواة وشاع في الآفاق ذكره وعظم في الناس خطره وصار ذلك

(١) الصناعتين ص ٢٠٢.

(٢) ديوان المعاني ج٢ ص ٨٧

(٣) السابق والصفحة .

مادة للعالم الرئيس ورياضة للمتعلم الريض)[1] بل إن فكرة المعاني المطروحة التي يستوي في معرفتها العجمي والعربي وغيرهما أبوعذرتها هو الجاحظ يقول الجاحظ : "والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجميّ والعربيّ، والبدويّ والقروي، والمدنيّ وإنّما الشأن في إقامة الوزن، وتخيّر اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحّة الطبع وجودة السّبك، فإنما الشعر صناعة، وضرب من النّسج، و جنس من التّصوير"[2]

ويذكر ابن رشيق أن أكثر الناس علىٰ تفضيل اللفظ علىٰ المعنىٰ ، وأن اللفظ أغلىٰ من المعنىٰ ثمنًا، وأعظم قيمة، وأعز مطلبًا؛ فإن المعاني موجودة في طباع الناس، يستوي الجاهل فيها والحاذق، ولكن العمل علىٰ جودة الألفاظ، وحسن السبك، وصحة التأليف[3]

وهذا ترديد لرؤية الجاحظ وأبي هلال ، ويذكر ابن رشيق أن المتنبي من الشعراء المطبوعين الذين يؤثرون المعنىٰ علىٰ اللفظ فيطلب صحته، ولا يبالي حيث وقع من هجنة اللفظ وقبحه وخشونته [4] وهذا يبين لنا مدىٰ اختلاف التوجه بين أبي هلال والمتنبي وإن كنت أجزم أن المتنبي شاعر اللفظ والمعنىٰ وشاعر النظم .

و كان مطعن الكارهين للمتنبي منصبا ومؤسسا علىٰ ألفاظه ، يقول الصاحب "ومن أطم ما يتعاطاه - أي المتنبي - التفاصح بالألفاظ

---

(١) البيان والتبيين ج٢ ص ٨.

(٢)الحيوان .الجاحظ .ج٣ ص ٦٧ دار الكتب العلمية – بيروت ط. الثانية، ١٤٢٤ هـ .

(٣) ينظر : العمدة في محاسن الشعر وآدابه . ابن رشيق ج ١ ص ١٢٧ ت .أ/ محمد محيي الدين عبدالحميد. دار الجيل . ط الخامسة. ١٩٨١م .

(٤)السابق والصفحة.

والكلمات الشـــاذة ؛ حتىٰ كأنه وليد خباء وغذي؛ ولم يطأ الحضـــر؛ ولم يعرف المدر"[1] ولذلك تعصب مؤيدوالمتنبي لألفاظه إلىٰ حد غير مقبول ، قال الواحدي : (وقرأت علىٰ أبي العلاء المعري ومنزلته في الشـــعر ما قد علمه من كان ذا أدب فقلت له يوما في كلمةٍ ما ضـــر أبا الطيب لو قال مكان هذه الكلمة كلمة أخرىٰ أوردتها فأبان لي عوار الكلمة التي ظننتها ثم قال لي لا تظنن أنك تقدر علىٰ إبدال كلمةٍ واحدةٍ من شعره بما هو خير منها فجرب إن كنت مرتابا وها أنا أجرب ذلك منذ العهد فلم أعثر بكلمة لو ابدلتها بأخرىٰ كان أليق بمكانها وليجرب من لم يصدق يجد الأمر علىٰ ما أقول)[2] وهذا لعمري مغالاة لا يرضاها المتنبي نفسه ، ولا يصدق كلام المعري إلا علىٰ ألفاظ القرآن الكريم ، وفي الصـــفحات الآتية بيان لنقدات أبي هلال لألفاظ أبي الطيب :

(١)الكشف عن مساوي شعر المتنبي . الصاحب بن عباد . ص ٤٩ . ت. الشيخ/ محمد حسن آل ياسين . مكتبة النهضة . بغداد ط . الأولىٰ ١٣٨٥ هـ – ١٩٦٥ م.

(٢)شرح الواحدي لديوان المتنبي ج ٢ ص ٨١٤ ومابعدها ت. د/ ياسين الأيوبي وآخرون . دار الرائد العربي . لبنان ط . أولىٰ ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م .

يقول المتنبي :

١- جَفَخْتْ وهم لا يجفَخونَ بها بِهِمْ شِيَمٌ علىٰ الحَسَبِ الأغَرّ دَلائِلُ[١]

هذا البيت من قصيدة يمدح فيها المتنبي القاضي أبا الفضل أحمد بن عبدالله الحسن الأنطاكي ومطلعها :

لك يا منازل في القلوب منازل أقفرتِ أنت وهن منكِ أواهل[٢]

معنى البيت :

الجفخ هو الْفَخر جفخ تكبر وفخر مثل جخف والشيم جمع شِيمَة وَهِي الخليقة والعلامة والأغر الْأَبْيَض الْوَاضِح الْمَعْنىٰ هَذَا علىٰ التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير تَقْدِيره : جفخت بهم شيم وفخرت وهم لَا يفخرون بهَا وشيمهم دَلَائِل علىٰ حسبهم الظَّاهِر وَهُوَ مَا يعد من مآثر الْآبَاء[٣]

نقد أبي هلال :

عاب أبوهلال هذا البيت في معرض حديثه عن تمييز الكلام ، وأن الكلام إنما يكون بحسن سلاسته وسهولته وتخير لفظه ، لأن المعاني يعرفها العربي والعجمي والقروي والبدوي وإنما الشأن في جودة اللفظ وصفائه ؛ ولذلك عاب أبوهلال استعمال الغريب وينقل عن غيره فيقول : (قيل للسيد(الحميري): ألا تستعمل الغريب في شعرك. فقال: ذاك عىّ في زمانىٰ، وتكلّف منّي لو قلته، وقد رزقت طبعا واتّساعا في الكلام، فإنا أقول ما يعرفه الصغير والكبير، ولا يحتاج إلىٰ تفسير. ثم أنشدنىٰ:

---

(١)البيت في الصناعتين ص ٦٨، وفي ديوان المتنبي ص ١٧٩ .

(٢) الديوان ص ١٧٧ .

(٣)التبيان في شرح الديوان . العكبري . ج٣ ص ٢٥٨ . ت . أ/ مصطفي السقا وآخرين . مكتبة الحلبي . ط ١٣٥٥هـ . .

أيا ربّ إنىٰ لم أرد بالذي به مدحت عليّا غير وجهك فارحم

فهذا كلام عاقل يضع الشىٰء موضعه، ويستعمله في إبانه ، ليس كمن قال وهو في زماننا :

جفخت وهم لا يجفخون بها بهم

فأشمت عدوّه بنفسه.)[1]

أستنتج من هذا النص النقدي أن أبا هلال يرد الغريب من اللفظ ؛ لأنه عي وتكلف وينم عن جفاء الطبع وعدم القدرة علىٰ الاتساع في الكلام ، وأن الأديب يجب أن يضع الكلام موضعه فلكل مقام مقال وأن الحكم علىٰ اللفظ بكونه غريبا يخضع عنده إلىٰ شرطين :

١ – عدم استواء المعرفة به بين الصغير والكبير .

٢ – أن يحتاج اللفظ إلىٰ تفسير .

وبناء علىٰ ذلك عاب علىٰ المتنبي (جفخت) ، ويلاحظ أن أباهلال كان قاسيا في الكلام عن أبي الطيب حيث نفي عنه العقل الذي يمكنه من وضع الشيء موضعه ، كما أنه لم يذكر المتنبي باسمه إنما ذكره بقوله :(من قال وهوفي زماننا) وهذا من قبيل التجاهل التام للمتنبي وبالغ في الذم حين جعل هذا البيت سببا في شماتة الأعداء .

البيت في التراث النقدي :

لم يكن أبوهلال أول من عاب علىٰ المتنبي هذا اللفظ ولا آخر من عابه فقد عابه قبله :

(١) الصناعتين ص ٦٧ وما بعدها.

الصاحب بن عباد(ت . ٣٨٥هـ) وهو أول من عابه وتلقفه منه أبوهلال يقول : (ومما دلنا به علىٰ حفظه الغريب قوله:

جفخت وهم لا يجفخون بهابهم شيم علىٰ الحسب الأغر دلائل

يريد بالجفخ البذج والفخر ، من قول الشاعر:

أتوعدني بجفخ بني عمير وقد أفحمت شاعر كل حي

ومن قول الآخر:

أجفخاً إذا ما كنت في الحي آمنا وجبناً إذا ما المشرفية سلت

وليس هذا بسائغ لمثله ؛ وهو ولد قرية ومعلم صبية)[1] ولا أدري كيف لا يكون هذا سائغا للمتنبي ؟ وهل لو قاله أعرابي في الفلاة سيكون سائغا ؟!.

والقاضي الجرجاني (ت . ٣٩٢هـ) كان يقصد الصاحب ومن نهج نهجه وجعل ذلك من قبيل التصيد و التعجل في الحكم فقال : "وقد رأيتك – وفقك الله – لما احتفلت وتعمّلت، وجمعت أعوانك واحتشدت، وتصفّحت هذا الديوان حرفاً حرفاً، واستعرضته بيتاً بيتاً، وقلّبته ظَهراً وبطْناً، لم تزد علىٰ أحرف تلقّطَتها، وألفاظ تمحّلَتها، ادّعيت في بعضها الغلط واللحن، وفي أخرىٰ الاختلال والإحالة، ووصفت بعضاً بالتّعسّف والغثاثة، وبعضاً بالضّعف والركاكة، وبعضاً بالتعدي في الاستعارة؛ ثم تعدّيت بهذه السمة الىٰ جملة شعره، فأسقطت القصيدة من أجل البيت، ونفيت الديوان لأجل القصيدة، وعجّلت بالحُكم قبل استيفاء الحجة،

(١)الكشف عن مساوي شعر المتنبي . الصاحب بن عباد ص ٧٣.

وأبرمت القضـــاء قبل امتحان الشـــهادة" [1] ثم ذكر أبياتا للمتنبي منها هذا البيت [2]

وعابه الثعالبي (ت . ٤٢٩ هـ) فبعد أن ذكر أبياتا للمتنبي من نفس القصيدة قال :

ثم قال وتوحش وتبغض ما شاء الحاسد:

جفخت وهم لا يجفخون بها بهم شـيم علىٰ الحسـب الأغر دلائل

فالثعالبي يعيب علىٰ المتنبي التوحش والتوعر ويتأثر بما ذكره أبوهلال من الشماتة إلا أنها عند الثعالبي شماتة حاسد.

وعاب ابن سنان(ت. ٤٦٦ هـــ) بيت المتنبي السابق من وجه آخر ، هو التعقيد اللفظي حيث لم يضع الألفاظ موضعها بل قدم وأخر) [4]

وأبوالمعالي ابن حمدون (ت . ٥٦٢ هـــ) يعيب غرابة اللفظ وبعده عن الاسـتعمال اللغوي ويجعل الأذن ضـابطة ومرجحة لهذه الغرابة ، حيث أن لها كراهة في السـمع ، يقول في التذكرة : "وممّا اسـتهجن لفظه وبعد عن الاستعمال ومجّته الأسماع" [5] وذكر البيت السابق .

(١)الوساطة بين المتنبي وخصومه . القاضي الجرجاني ص ٨٢ . ت . أ/ محمد أبو الفضل إبراهيم و أ / علي محمد البجاوي مطبعة عيسىٰ البابي الحلبي وشركاه.

(٢)السابق ص ٨٩.

(٣)أبو الطيب المتنبي وما له وما عليه . أبو منصور الثعالبي. ص ٧١. ت . أ/ محمد محيي الدين عبد الحميد . مكتبة الحسين التجارية – القاهرة ط

(٤) ينظر : سر الفصاحة ابن سنان الخفاجي ص ١١٣ . دار الكتب العلمية . ط. الطبعة الأولىٰ ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

(٥)التذكرة الحمدونية . أبوالمعالي ابن حمدون ج٧ ص ٣١٦. دار صادر. بيروت . ط . الأولىٰ، ١٤١٧ هـ .

ويعيب ابن الأثير(ت . ٦٣٧ هـ) اللفظ السابق ويجعلها من الوحشي الغليظ وجعل لها مرارة في الطعم وكراهة في السمع تجعله يقشعر ، يقول : ابن الأثير : "فإن لفظة (جفخ) مرة الطعم، وإذا مرَّت علىٰ السمع اقشعرَّ منها، وأبو الطيب في استعمالها كاستعمال تأبَّط شرًّا لفظة "جحيش"، فإن تأبط شرًّا كانت له مندوحة عن استعمال تلك اللفظة، كما أشرنا إليها فيما تقدَّم، وكذلك أبو الطيب في استعمال هذه اللفظة التي هي "جفخت"، فإن معناها: فخرت، والجفخ: الفخر، يقال: "جفخ فلان"، إذا فخر، ولو استعمل عوضًا عن "جفخت" "فخرت" لاستقام وزن البيت، وحظي في استعماله بالأحسن.وما أعلم كيف يذهب هذا وأمثاله علىٰ مثل هؤلاء الفحول من الشعراء؟!وهذا الذي ذكرته وما يجري مجراه من الألفاظ هو الوحشيّ اللفظ ، الغليظ الذي ليس له ما يدانيه في قبحه وكراهته"[1]

وعاب يحيىٰ بن حمزة العلوي (ت . ٧٤٥هـ) (جفخت) ولم يخرج عما سبق قال – رحمه الله – معلقا علىٰ البيت السابق : "والمراد فخرت وهذه اللفظة من مستقبحات الألفاظ ومستهجناتها فما هذا حاله ينبغىٰ تجنبه"[2].

(١)المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ضياء الدين بن الأثيرج ١ص ١٨٢ت د/ أحمد الحوفي . ود/ بدوي طبانة دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. الفجالة ـ القاهرة.ط

(٢)الطرازالمتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز . يحيىٰ بن حمزة العلويّ ج١ ص ٦٣المكتبة العنصرية – بيروت ط . الأولىٰ، ١٤٢٣ هـ

وقال يوسف البديعي (ت : ١٠٧٣ هـ) في الصبح المنبي : "ولفظة الجفخ مرة الطعم إذا مرت علىٰ السمع اقشعر منها، ويا لله العجب أليس أنها بمعنىٰ فخرت، وهي لفظة حسنة رائقة،ولو وضعت في هذا البيت موضع جخفت لما اختل شيء من وزنه، فأبو الطيب ملوم من وجهين: أحدهما أنه استعمل القبيح، والآخر أنه كانت له مندوحة عن استعماله فلم يعدل عنه"[١]

رأي البحث :

دار بيت المتنبي السابق في كتب التراث البلاغي شاهدا علىٰ الإخلال بفصاحة الكلمة وكذا فصاحة الكلام ، حيث عاب أكثر البلاغيين كلمة (جفخ) وذكروا أن هذه الكلمة فيها غرابة تخل بفصاحة الكلمة ، وعاب ابن سنان الخفاجي البيت من جهة التعقيد ، وأرىٰ أن البذرة التي وضعها الصاحب وتولىٰ كبرها أبوهلال تلقفها التراث البلاغي بمعزل عن مكانها في البيت وعن السياق الكلي للقصيدة ، و بعيدا عن نفسية الشاعر وتجربته الشعورية التي صاحبته في عملية الإبداع والكشف عن كل ذلك يؤسس لحكم نقدي عادل .

وقد استقر البحث البلاغي علىٰ أن الغرابة هي أن تكون الكلمة وحشية لا يظهر معناها، فيحتاج في معرفته إلىٰ أن ينقر عنها في كتب اللغة المبسوطة[٢] والكلمة لم تصل إلىٰ الحد الذي ينقر عنه في كتب اللغة فيجتهد في

---

(١)الصبح المنبي عن حيثية المتنبي . يوسف البديعي الدمشقي . ج٢ ص ٥٦ وما بعدها . المطبعة العامرة الشرفية. ط. الأولىٰ ١٣٠٨ هـ .

(٢) الإيضاح . القزويني . ج١ ص ٢١ . ت . د/ محمد عبدالمنعم خفاجي . دار الجيل – بيروت الطبعة: الثالثة .

استخراجها من هذه المطولات؛ لأنها مدفونة في أضابيرها فالبلاغيون يريدون الكلمات التي توشك أن يميتها الزمن، وأن يبتلعها التاريخ، والتي يمكن أن ينتفع بها الباحث في الأصول السامية لإيغالها في القدم، وشبهها بكلمات النقوش أكثر مما ينتفع بها الأدباء وأهل الفصيح ، هم يقصدون زرجون، واسفنط وخندريس بدل الخمر، وهرماس وفدوكس بدل الأسد[1] .وشراح الديوان قديما وحديثا لم يروا غرابة في الكلمة ، ففسروا (جفخ) بـ(فخر وتكبر) ولم يزيدوا علىٰ ذلك[2]

كما أن المتنبي كان يتعمد هذه الكلمة (جفخت) وأمثالها لمقتضيات بلاغية فهو يمدح قاضيا فقيها عالما يقول المتنبي :

عَلّامَةُ العُلَماءِ وَالـلُجُّ الَّذي . لا يَنتَهي وَلِكُلِّ لُجٍّ ساحِلُ[3]

(١) ينظر : خصائص التراكيب . د/ محمد أبوموسىٰ . ص ٦٧ . مكتبة وهبة ط

(٢) ينظر : الفسر (شرح ابن جني الكبير علىٰ ديوان المتنبي) ج٣ ص ٢٠٣ . دارالينابيع. دمشق . ط. أولىٰ . ٢٠٠٤هـ ، و شرح الديوان . المعري .ج٢ ص ٢٨٢ ، و شرح الواحدي ج٢ ص ٧٩٥. دار الرائد العربي . بيروت . ط أولىٰ ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م ،والموضح في شعر أبي الطيب المتنبي . أبوزكريا التبريزي ج٤ ص ٣٨٧ . تح . د/ خلف رشيد نعمان . دار الشئون الثقافية . بغداد .ط أولىٰ . ٢٠٠٤هـ، و التبيان في شرح الديوان . العكبري . ج٣ ص ٢٥٨ . ت . أ/ مصطفي السقا وآخرين . مكتبة الحلبي. ط ١٣٥٥ هـ ، والعرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب . الشيخ / ناصيف اليازجي . ج ٢ ص ٢٠٤ . ت. د/ عمر فاروق . دار الأرقم بن أبي الأرقم . ط أولىٰ . ١٩٩٥م، وشرح الديوان . الشيخ / عبدالرحمن البرقوقي . ج٣ ص ٣٧٥. دار الكتاب العربي . بيروت . ط ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م .

(٣) الديوان ص ١٧٩ .

والمتنبي كان " يرضي أصحاب الفلسفة والتصوف والتشيع، كما يرضي أصحاب الغريب من اللغة والأساليب الشاذة من النحو، فإنك تراه يخرجه إخراجًا لغويًّا؛ إذ يحشد فيها الألفاظ الغريبة حشدًا، وكأنه ليس له وجهة إلا أن يعبر تعبيرًا لغويًّا غريبًا، حتىٰ ينال إعجاب اللُّغويين من أصحاب الغريب، وكان القدماء يعرفون له هذه الرغبة من إظهار علمه وفضله"[1] فهذا اللفظ يتناسب مع المتنبي وشخصيته النازعة إلىٰ التميز والتفرد وقد عبر في نهاية هذه القصيدة عن فصاحته وقوة شاعريته وأن الممدوح لمعرفته باللغة وسعة علمه يهابه الشعراء فلا ينشدون أمامه ، أما المتنبي فهو الأسد الهصور وشعره من طبقة لا يعرفها أهل الجاهلية ، وفصاحته سحر ما عرف عند أهل بابل ، ومع ذلك ستأتيه المذمة من ناقصي العقول فإذا أتت فهي شهادة له لأن الناقص يذم الفاضل ، ويزيد فيذم أهل العصر الذين لن يفهموا شعره ، وكيف وقد ادعوا أن باقلا وهو مضرب المثل في العي والحمق كان يعلم حساب الهند مع سوء علمه بالحساب ؟! يقول :

لا تجسر الفصحاءُ تنشد ههنا ... بيتـًا ولكني الهزبر الباسل

ما نال أهل الجاهلية كلهم ... شعري ولا سمعت بسحري بابل

وإذا أَتَتْكَ مَذَمّتي من نَاقِصٍ ... فهي الشهادة لي بأني كامل

من لي بفهم أهيل عصر يدّعي ... أن يحسب الهنديَّ فيهم باقل[2]

(١)الفن ومذاهبه في الشعر العربي د/ شوقي ضيف . ص ٣٣٦ دار المعارف بمصر. ط . الثانية عشرة .

(٢)الديوان ص ١٨٠ .

فالمتنبي يدل بشاعريته ويضمن شعره ما يلفت الأنظار ، وكأنه بهذه الألفاظ يداعب هؤلاء المتصيدين ويحفزهم علىٰ النيل منه ، والقصيدة تضمنت من الألفاظ ما يجعل التعبير بـ(جفخ) مناسبا أتم ما يكون المناسبة فهو يمدح أبا الفضل فكلامه القول الفصل فكلماته (قضب) ، ومكارمه (قنابل) وهي الطائفة من الخيل فهي تهزم كل المكارم ، وتقتل (دفرا) و(الدهيم) وهما من أسماء الداهية ، ويُقَال للدنيا أم دفر لخبثها ، وهي لذلك (هابل) أي ثاكل وهبلت الْمَرْأَة وَلَدهَا ثكلته [1] يقول المتنبي :

كَلِماتُهُ قُضُبٌ وهُنّ فَوَاصِلٌ كلُّ الضّرائبِ تَحتَهُنّ مَفاصِلُ
هَزَمَتْ مَكارِمُهُ المَكارِمَ كُلّهَا حتىٰ كأنّ المَكْرُماتِ قَنَابِلُ
وقَتَلْنَ دَفْراً والدُّهَيْمَ فَما تَرَىٰ أُمُّ الدُّهَيْمِ وأُمُّ دَفْرٍ هابل [2]

فكان من المناسب بعد كل هذه المكرمات ، التي عبر عنها بأقوىٰ الألفاظ ناسب ذلك أن يأتي التعبير بهذا اللفظ (جفخ) لأن معظم ألفاظ القصيدة من هذا الطراز العالي .

ولأن المعنىٰ غريب ناسبه اللفظ اللافت والصياغة اللافتة ، فالعادة التي جرت أن يتمدح الناس بصفاتهم وأخلاقهم لكن المتنبي جعل هذه الشيم والخلال هي التي تفخر بهم وهذا أبلغ في المدح وأدل علىٰ شرف حسبهم الظاهر ، وهذا المعنىٰ يناسبه (جفخت) ؛ لأنه فخر ليس كأي فخر إنه فخر من نوع خاص فلا أقل من أن يعبر عنه بلفظ خاص ، فالسياق لا يطلب إلا

(١)شرح الديوان . العكبري ح ٣ ص ٢٥٦.
(٢) ديوان المتنبي ص ١٧٩ .

هذا اللفظ ، وقد بين الإمام عبدالقاهر أهمية القراءة الواعية للسياق في الحكم علىٰ اللفظ حيث ذكر أن الألفاظَ لا تتفاضَلُ من حيث هي ألفاظٌ مجرَّدة، ولا من حيثُ هي كلمٌ مفردةٌ، وأن الفضيلة وخلاقها، في ملائمة معنىٰ اللفظة لمعنىٰ التي تليها، وما أشبهَ ذلك، مما لا تَعلُّقَ له بصريحِ اللفظ، فالكلمةَ تروقُك وتُؤنسك في موضعٍ، ثم تَراها بعينِها تَثْقُلُ عليكَ وتُوحِشُك في موضعٍ آخرَ[1] فهذا اللفظ (جفخ) يلبي دوافع المتنبي النفسية ويقع موقعه في نفس الممدوح ، ويتناسب مع فجائية المعنىٰ وغرابته ، وقد أزكىٰ هذه الغرابة نظم البيت وما فيه من تقديم وتأخير وفصل بين أركان الجمل ، حتىٰ ذكر ابن سنان أن في البيت تعقيدا "فأصل التركيب هكذا: جفخت بهم شيم دلائل علىٰ الحسب الأغر، وهم لا يجفخون بها أي: افتخرت بهم طبائع دالة علىٰ ما كان لآبائهم من مناقب ومفاخر، وهم لا يفتخرون بها؛ لأنهم حاصلون علىٰ ما هو خير وأوفي، فقد فصل بين الفعل والفاعل وهما "جفخت شيم" بأجنبي هو جملة "وهم لا يجفخون بها" الواقعة حالًا، وفصل بين الصفة والموصوف وهما "شيم دلائل" بالجار والمجرور وهما قوله: "علىٰ الحسب الأغر".)[2] والنظرة العجلىٰ تقود إلىٰ القول بالتعقيد وصياغة البيت بهذه الطريقة عند تدبره يوظف توظيفا بلاغيا رائقا ، فنظم البيت فيه من

(١)دلائل الإعجاز . الشيخ / عبدالقاهر الجرجاني ص ٤٦ . ت . الشيخ / محمود محمد شاكر .مطبعة المدني بالقاهرة .ط . الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .

(٢) ينظر : المنهاج الواضح للبلاغة أ/ حامد عونىٰ ج٣ ص ٤٠ . المكتبة الأزهرية للتراث .

التشـــويق ما يجعل المتلقي يتعلق بآخر لفظة منه فالفعل (جفخت) يثير في النفس كوامن الدهشة والانفعال فهو يتحدث عن الممدوحين (بني الحسن) فيقول :

لِيَزِد بَنو الحَسَنِ الشِرافُ تَواضُعًا هَيهاتَ تُكتَمُ في الظَلامِ مَشـاعِلُ[1]

فكـان الظـاهر أن يبـدأ البيت بـالحديـث عنهم فيقـال (جفخوا) إلا أن مجيء الفعل بتاء التأنيث (جفخت) يضـــرب علىٰ وتر الشـــوق ومفاجأة المتلقي بمعنىٰ لم يكن يتوقعـه ولم يجر في خلـده فتتعلق النفس بفـاعـل (جفخ) المؤنث ، فلا يجد الفاعل بل تلقاه هذه الجملة الحالية "وهم لا يجفخون بها" إن المتلقي ينتظر فاعـل (جفخـت) المؤنـث فتتلقـاه جملة تنفي عن قوم الجفخ فســاهم طباق السـلب بين (جفخت) و (لا يجخفون) في إثارة كوامن الشـــوق وزيادة الانفعال و التعلق بالفاعل(شـــيم) المثبت في جهة والمنفي في جهة أخرىٰ ، حتىٰ إذا وقع عليه المتلقي تمكن واســتقر وصـار المعنىٰ أعجب وأدهش، " لأن الشـيء من غير معدنه أغرب، وكلما كان أغرب كان أبعد في الوهم وكلما كان أبعد في الوهم كان أطرف، وكلما كان أطرف كان أعجب، وكلما كان أعجب كان أبدع"[2] و تزداد الدهشـــة والعجب عندما يكون هذا الفاعل (شيم) والشيم لا تفخر وإنما يفخر بها ، فأضـــفي المتنبي عليها تشـــخيصـــا اســـتعاريا جعلها من بني العاقلين الذين يتيهون ويفخرون ، فالممدوحين قد بلغ بهم الفضـــل والعز والحســـب حتىٰ

(١) الديوان ص ١٧٩ .

(٢)البيان والتبيين ج ١ ص٩٣.

أخذت الشيم دور الشعراء في التمدح بالفضائل ، وساهم تنكير (شيم) في تفخيمها وتعظيمها وجاءالجار والمجرور (علىٰ الحسب الأغر) فاصلا بين الموصوف (شيم) والصفة (دلائل) ليزداد تعلق النفس بما تؤديه هذه الشيم فلا يكتمل المعنىٰ إلا مع آخر لفظة في البيت فما كان هذا التقديم والتأخير والفصل ونحوه إلا طريقا من طرق المتنبي في التأكيد علىٰ نبوغه الشعري وعبقريته ، "ومن المركوز في الطبع أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق إليه ، ومعاناة الحنين نحوه كان نَيله أحلَىٰ، وبالمزِيَّة أولىٰ، فكان موقعه من النفس أجلّ وألطف، وكانت به أضَنَّ وأَشْغَف "[1]

ولقد عرف عن المتنبي – وهو الشاعر القلِق الجوّال، الكثير الترحال – قلقُ العبارة الشعرية، وسفره في مُركباتها يبعثر أجز اءها يمينا وشمالا، فيُجري ...كلامه علىٰ مجرىٰ تركيبي غريب أثار بين القدماء خصومة استمرت بعده زمنا ، فالمتنبي لا يريد للنحو أن يظفر معه بسلام، ولا للنحاة أن يؤولوا معه بصلح.[2]

وبذلك يتضح أن ما عابه أبوهلال العسكري وغيره من العلماء لا يستقيم أمام الرؤية النقدية السديدة لبيت المتنبي السابق .

(١)أسرار البلاغة. عبدالقاهر الجرجاني ص ١٣٩ . ت . الشيخ / محمود شاكر . دار المدني . القاهرة . ط

(٢) ينظر :شعرية المطلع في القصيدة العباسية . د / بوعلام بوعامر . ١٣٩ . نشر كلية الآداب . الجمهورية الجزائرية . ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

يقول المتنبي :

٢-أين البطاريق والحلف الّذي حلفوا بمفرق الملك والزّعم الّذي زعموا [١]

هذا البيت من آخر قصيدة مدح بها المتنبي سيف الدولة الحمداني ومطلعها :

عُقْبَىٰ اليَمينِ علىٰ عُقبَىٰ الوَغَىٰ نـدمُ ماذا يزيدُكَ في إقدامِكَ القَسَـمُ [٢]

معنى البيت :

يَقُول أَيْن ذهبت البطارقة وَأَيْنَ مَضَت أَيْمَانهم بِرَأْس ملكهم وَأَيْنَ مَا وعدوا من الْقِتَال وقد حلف ابن الدمستق والبطاريق أن يلقوا سيف الدولة [٣]

نقد أبي هلال :

عاب أبوهلال علىٰ المتنبي هذا البيت في معرض حديثه عن الشعروفضله وما يجب في لغته من كرائم اللفظ ، فلايكون وحشيا بدويا ولا مبتذلا سوقيا [٤] يقول أبوهلال : "والمختار من الكلام ما كان سهلا جزلا لا يشوبه شيء من كلام العامة وألفاظ الحشويّة، وما لم يخالف فيه وجه الاستعمال ؛ ألا ترىٰ إلىٰ قول المتنبي :

أينَ البَطارِيقُ وَالحَلْفُ الذي حَلَفوا بمَفرِقِ المَلْكِ وَالزّعمُ الذي زَعَموا

---

(١)البيت في الصناعتين ص ١٥٥، وفي ديوان المتنبي ص ٤١٩.

(٢) الديوان ص ٤١٩.

(٣) شرح الديوان .العكبري . ج ٤ ص ١٦.

(٤) ينظر : الصناعتين ص ١٣٩ ومابعدها .

هذا قبيح جدّا، وإنما سمع قول العامّة حلف برأسه، فأراد أن يقول مثله؛ فلم يستوله، فقال: بمفرق الملك، ولو جاز هذا لجاز أن يقول: حلف بيافوخ أبيه، وبقمحدوة سيّده"[1].

فأبوهلال يعيب علىٰ المتنبي قوله : (بمَفرِقِ المَلْكِ) لأن القسم بذلك عامي مبتذل ، وهو مسبوق في تقرير ذلك بالجاحظ الذي ذكر في طبقات الكلام قوله :"كما لا ينبغي أن يكون اللفظ عاميا، وساقطا سوقيا، فكذلك لا ينبغي أن يكون غريبا وحشيا، إلا أن يكون المتكلم بدويا أعرابيا، فإن الوحشيّ من الكلام يفهمه الوحشي من الناس، كما يفهم السوقيّ رطانة السوقي. وكلام الناس في طبقات كما أن الناس أنفسهم في طبقات"[2]

البيت في التراث النقدي :

استحسن صاحب الصبح المنبي البيت السابق من جملة أبيات استحسنها في القصيدة [3] ولم أقف علىٰ أي مأخذ علىٰ هذا البيت في كتب التراث النقدي ، فلم يعيبه إلا أبوهلال ، مع أن القصيدة من أبدع ما قال المتنبي حتىٰ قال ابن جني: قلت لأبي الطيب وقت قراءة هذه القصيدة عليه: إنه ليس في جميع شعرك أعلىٰ كلامًا من هذه القصيدة ، فاعترف بذلك وقال: كانت وداعًا[4]

ولعل أباهلال كان مدفوعا في نقده لهذا البيت من هذه القصيدة بأمور :

---

(١) الصناعتين ص ١٥٥.

(٢)البيان واتبيين ج ١ ص ١٣٥.

(٣) الصبح المنبي ج ٢ ص ٢٥٢.

(٤) شرح الديوان . المعري ج٣ ص ٥٤٣.

١ – أن أباهلال كان يدرك أفضلية هذه القصيدة وعلو كعبها ، فأراد أن يبين اقتداره من خلال بيان عيب في بيت من أبيات هذه القصيدة .

٢ – أنه أراد أن يرد علىٰ امتداح ابن جني لهذه القصيدة .

٣ – في نقد أبي هلال لهذه القصيدة تقليل لأهمية المتنبي فإذا كانت القصيدة من أعلىٰ أشعار المتنبي ونقدها أبوهلال ، فما الشأن في بقية قصائده ؟!

رأي البحث :

عاب أبوهلال بيت المتنبي السابق لاستخدام المتنبي الحلف بلفظ (مفرق الملك) لأن الكلمة عامية وفي كلام أبي هلال نظر إذ كيف تكون الكلمة عامية مبتذلة وقد جاءت في حديث النبي صلىٰ الله عليه وسلم وعلىٰ ألسنة صحابته الكرام ؟ ففي حديث أصحاب الأخدود « فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ حَتَّىٰ وَقَعَ شِقَّاهُ »[1] وعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: « كَانَ فِي رَأْسِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الشَّيْبِ إِلَّا شَعَرَاتٌ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، »[2]

وذكر صاحب اللسان أن "المَفْرِقُ: وَسَطُ الرأْس وَهُوَ الَّذِي يُفْرَقُ فِيهِ الشَّعَرُ"

قَالَ الأَسود بْنُ يَعْفُرَ:

عَلَوْتُ بِذي الحَيّاتِ مَفْرَقَ رأْسِه فَخَرَّ، كَمَا خَرَّ النِّساءُ، عَبِيطَا[4]

---

(١) مسند الإمام أحمد ج ٣٩ ص ٣٥٣.ت . الشيخ / شعيب الأرنؤوط وآخرون مؤسسة الرسالة ط . الأولىٰ، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م .

(٢)السابق . ج٢٤ ص ٤٢٨ .

(٣) ينظر : لسان العرب (فرق) و (شرط) دار صادر. بيروت . ط أولىٰ .

فإذا كانت الكلمة مستعملة في أفصح كلام، فما الضير في الحلف به ؟ مع أن الحلف بمفرق الرأس له وقعه ودلالته إذ هو وسط الرأس وليست الرأس هنا كأي رأس إنها رأس الملك فالحلف من قائد الروم بـــ(مفرق الملك) بمثابة الحلف بأغلظ الأيمان عندهم ومعلوم أن الملك عند الرومان مقدس وله السلطات المطلقة المستمدة من الكنيسة وثقافة المتنبي لا تغفل ذلك وأنهم إذا أقسموا فلا أقدس ولا أعز عندهم من وسط رأس الملك وهو ما دلت عليه كلمة (مفرق الملك).

و لا يعيب الشاعر استخدامه للكلمات المألوفة فالكلمة طاقة و تعبير والشاعر الحاذق هو الذي يفجر طاقاتها ، ويحسن توظيفها ، وتكون قادرة علىٰ إظهار أدق خلجات النفس يقول الشيخ عبدالقاهر : (وأما رجوع الاستحسان إلىٰ اللفظ من غير شرك من المعنىٰ فيه وكونه من أسبابه ودواعيه فلا يكاد يعد نمطًا واحداً وهو أن تكون اللفظة مما يتعارفه الناس في استعمالهم ويتداولونه في زمانهم ولا يكون وحشيًا غريبًا أو عاميًا سخيفًا)[1] وكلمة (مفرق الملك) مألوفة الاستعمال ، لكنها تبتعد عن السخافة ، بل إن أباهلال العسكري نفسه اشترط لعدم غرابة الكلمة استواء معرفتها بين الصغير والكبير وابن الأثير يقرر أن " الكلام الفصيح هو الظاهر البين وأعني بالظاهر البين أن تكون ألفاظه مفهومة لا يحتاج في فهمها إلىٰ استخراج من كتاب لغة وإنما كانت بهذه الصفة لأنها تكون مألوفة الاستعمال بين أرباب النظم والنثر دائرة في كلامهم وإنما كانت مألوفة

(١) أسرار البلاغة ص ٣

الاستعمال دائرة في الكلام دون غيرها من الألفاظ لمكان حسنها ...فحسن الألفاظ سبب استعمالها دون غيرها واستعمالها دون غيرها سبب ظهورها وبيانها فالفصيح إذا من الألفاظ هو الحسن .....لأن الألفاظ داخلة في حيز الأصوات فالذي يستلذه السمع منها ويميل إليه هو الحسن والذي يكرهه وينفر عنه هوالقبيح "[1]

فابن الأثير يضبط الفصيح بين مقياس الغرابة ومقياس الابتذال ، وأن اللغة الشاعرة يجب أن تبتعد عما هو وحشي وعما هو مبتذل ، وأن المألوف المستعمل إنما كتب له الحسن ، لأنه لولا حلاوته في السمع لما كان مألوفا ولا مستعملا ، وهل نتسمع لقول المتنبي (مفرق الملك) كراهة في السمع ؟!

وإذا وقفنا مع القصيدة في السياقين : الخارجي و الداخلي يتضح أن الأولىٰ هو بيان جمال القصيدة وبراعة صورها ودقة ألفاظها ، لا أن يؤخذ عليه لفظ لا يرىٰ البحث فيه عيبا فابن الأثير ينضم لابن جني في مدح هذه القصيدة ، إذ جعل هذه القصيدة من أعاجيب أبي الطيب التي برز فيها علىٰ الشعراء.[2]

فالكلمة تناسب السياق الخارجي المتمثل في الظروف والدوافع التي صاحبت هذه القصيدة فقد "تُحدث بحضرة سيف الدولة: أن البطريق أقسم عند ملكه أن يعارض سيف الدولة في الدرب، ويجتهد في لقائه، وسأله

(١) المثل السائر . ج ١ ص ٩١.

(٢) السابق ج ٢ ص ٢٤ .

إنجاده ببطارقته وعدده، فخيب الله ظنه وأتعس جده"[1] فقائد الروم أقسم لمليكه بملاقاة سيف الدولة وهزيمته ، فالمتنبي يحكي ماحدث ، ولعل مجلس سيف الدولة قد سمع فيه المتنبي هذا القسم فحكاه كما سمعه وهذا أقرب إلىٰ الصواب ؛ لأن مجلس سيف الدولة كان يضج بالمنافسين للمتنبي ، ومنهم الشعراء والأدباء ولم نسمع أن واحدا منهم راجع المتنبي في هذا القسم ، فالمتنبي يحكي قسما قد وقع .

والكلمة – أيضا – تناسب السياق الداخلي فالقصيدة من مطلعها إلىٰ آخرها تدور حول هذا القسم يقول المتنبي في مطلعها :

عقبىٰ اليمين علىٰ عقبىٰ الوغىٰ نـدم ماذا يزيدك في إقدامك القسم؟
وفي اليمين علىٰ ما أنت واعده ما دل أنك في الميعاد متهم

فالمتنبي يبدأ القصيدة بمطلع بارع يتلاقىٰ مع سبب القصيدة ويتعلق بكل أجزاء القصيدة إذ نبه في هذا المطلع من أول الأمر علىٰ القسم وأن عقبىٰ القسم علىٰ الحرب هي الندم ، وإذا كنت جريئا مقداما فلماذا هذا القسم ؟ بل إن هذا القسم ما هو إلا دليل اتهامك بالجبن والخور .

وهو في كل ذلك يعرض بقائد الروم الذي حلف لملكه بملاقاة سيف الدولة وهزيمته ، ثم صرح بذكره مرتين فقال بعد هذين البيتين :

آلىٰ الفتىٰ ابن شمشقيقٍ فأحنثه فتىً من الضّرب ينسىٰ عنده

وفي آخر مقطع في القصيدة :

(١)شرح الديوان . المعري ج٣ ص ٥٤٣.

وأســلم ابن شــمشــقيقٍ أليتـهُ ألا أنثنىٰ فهو ينـأىٰ وهي تبتســمُ

فكيف يجهل المتنبي القسم وقد سمىٰ البطريق باسمه(ابن شمشقيق) ؟

ثم بعد ذلك بثلاثة أبيات يقول متهكما ساخرا :

أين البطارق والحلف الّذي حلفوا بمفرق الملك والزّعم الّذي زعموا؟

إذن قطب القصيدة هو القسم فكيف يقصر المتنبي في أهم ركن فيه وهو ذكر المقسم به (مفرق الملك) ؟ وعبر بالجمع زيادة في الاستهانة والتهكم بهم ، وأنهم لوجمعوا كل بطارقهم فلن يلقوا إلا الهلاك ، إن القصيدة كلها تحكي قصة القسم وملابساته ونتيجته ، وإنما يكون القسم قسما بذكر المقسم به فهل يغيب عن المتنبي الدور الدلالي للمقسم به فيأتي به عاميا مبتذلا ؟!

يقول المتنبي :

٣- ولا الضّعف حتىٰ يتبع الضّعف ضعفه ولا ضعف ضعف الضّعف بل مثله ألف [١]

هذا البيت من قصيدة يمدح فيها المتنبي أبا الفرج أحمد بن الحسين القاضي الأنطاكي ومطلعها:

لجِنّيّةٍ أمْ غادَةٍ رُفِعَ السَّجْفُ؟ لوَحْشِيّةٍ ؟ لا ما لوَحشيّةٍ شَنْفُ [٢]

معنى البيت :

يمدح المتنبي الممدوح فيقول : " لست أيضا ضعف الورىٰ حتىٰ يكون ذلك الضعف ضعفين ثم تزيد علىٰ ذلك بأضعافٍ كثيرة حتىٰ تبلغ ألفا والمعنىٰ أنك فوق الورىٰ بكثير"[٣]

نقد أبي هلال :

عاب أبوهلال هذا البيت في معرض حديثه عن التجنيس وهو- كما عرفه - أن يورد المتكلم كلمتين تجانس كلّ واحدة منهما صاحبتها في تأليف حروفها ، وذكر شواهد له من القرآن الكريم والحديث النبوي والشعر وذكر أبياتا لمعيب التجنيس مثل قول الأعشىٰ :

وقد غدوت إلىٰ الحانوت يتبعني شاو مشلّ شلول شلشل شول [٤]

وقول مسلم بن الوليد :

سُلَّت فَسُلَّت ثُمَّ سُلَّ سَليلُها فَأَتىٰ سَليلُ سَليلِها مَسلولا [٥]

---

(١)البيت في الصناعتين ص ٣٤٥، وفي ديوان المتنبي ص ١٠٨ .

(٢)الديوان ص ١٠٥ .

(٣)شرح الواحدي ج ٢ ص ٥٤١ .

(٤)ديوان الأعشىٰ ص ٥٩ .

(٥) ديوان مسلم بن الوليد . ص ٥٧ .ت . د/ سامي الدهان . دار المعارف . ط الثالثة . بدون .

ثم قال : "وقد قال بعض المتأخرين ما هو أقبح من جميع ما مر في قوله وليس من التجنيس :

ولا الضّـعف حتىٰ يتبع الضّـعف ضـعفه ولا ضـعف ضـعف الضّـعف بل مثله ألف

وقوله:

فقلقلت بالهمّ الّذي قلقل الحشـا قلاقـل عيس كلّهنّ قلاقـل "[1]

والبيتان لأبي الطيب وكنىٰ أبوهلال عنه بقوله (قال بعض المتأخرين) وسنقف أولا مع البيت الأول : (ولا الضعف .....) وقد ذكر أبوهلال بيت المتنبي السابق في معرض حديثه عن التجنيس وكل ما ذكره من تعريف وشواهد للتجنيس نقله عن عبدالله بن المعتز[2] فهو أول من تكلم في التجنيس وهو مقصور عندهما علىٰ ورود ألفاظ متشابهة الحروف ومثلا له بقوله تعالىٰ: (وأسلمت مع سليمان) وذلك غير الجناس الذي يكون فيه اللفظ واحدًا والمعنىٰ مختلفًا .

ويفهم من ذلك أن أباهلال يأخذ علىٰ المتنبي كثرة تكرار الألفاظ المشتقة من الأصل الثلاثي (ضعف) مما أورث النظم ثقلا وهو ما استقر تسميته في البحث البلاغي بتنافر الكلمات وهو عيب يخل بفصاحة الكلام .

(١)الصناعتين ص ٣٤٥.

(٢)البديع في البديع . عبدالله بن المعتز . ص ١٠٨ الناشر: دار الجيل . ط. الأولىٰ ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

البيت في التراث النقدي :

عاب هذا البيت الصاحب بن عباد في جملة أبيات عابها علىٰ المتنبي في هذه القصيدة فقال : (ومنها – أي من القصيدة – بيت قد حشا تضاعيفه بالضعف وهو:

ولا الضعف حتىٰ يبلغ الضعف ضعفه ولا ضعف ضعف الضعف بل مثله ألف

وهؤلاء المتعصبون له لا يقبح عندهم أن ينقشوا هذا البيت علىٰ صدر الكعبة وينادي في الناس : قعوا له ساجدين)[1] .

فهو يأخذ علىٰ المتنبي حشو البيت بكلمة (ضعف) ولا يكتفي بذلك بل يسخر من المدافعين عن المتنبي سخرية لاذعة . وجعل الحاتمي هذا البيت مع أبيات متشابهة في الصياغة من قبيل الهذيان .[2]

وذكرالبيت صاحب الوساطة في جملة الأبيات التي أخذت علىٰ أبي الطيب[3]

وعابه ابن وكيع فقال :"هذا – أي بيت المتنبي السابق – يحتاج إلىٰ صاحب جبر ومقابلة يحسبه"[4]

---

(١)الكشف عن مساوي شعر المتنبي.ص ٦٨ .

(٢)الرسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبي و ساقط شعره. الحاتمي . ص ٤٩. دار صادر . بيروت. ط أولىٰ . ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م .

(٣) الوساطة ص ٨٣.

(٤)المنصف للسارق والمسروق منه . ابن وكيع . ص ٥٢١ . ت . أ/ عمر خليفة بن ادريس . نشر جامعة قات يونس. بنغازي ط. الأولىٰ، ١٩٩٤ م .

وذكره الثعالبي في باب تكرير اللفظ في البيت الواحد من غير تحسين [1] وذكره ابن سنان في حديثه عن فصاحة الكلام وأن مما يجب علىٰ الناظم تجنبه تكرر الحروف المتقاربة في تأليف الكلام[2] وعابه صاحب الصحب المنبي بمثل ما عابه به الثعالبي حيث جعله من باب (تكرير اللفظ في البيت الواحد من غير تحسين)[3]

رأي البحث:

أستطيع القول أن هذا التكرار لمادة (ضعف) لا تنافر فيه ، وأن البيت لا يشكل صعوبة علىٰ اللسان في نطقه بل يجري نطقه علىٰ اللسان في يسر وسهولة ، كما أن البيت بهذه الصياغة اشتمل علىٰ قيمة معنوية وقيمة صوتية وتتمثل القيمة المعنوية في المبالغة في وصف الممدوح والترقي في وصفه ، ولنرجع إلىٰ سياق الأبيات ، يقول المتنبي :

ولَســـتَ بـدونٍ يُرْتَجَىٰ الغَيـثُ دونَـهُ ولا مُنتَهَىٰ الجودِ الـذي خلفَـهُ خَلْفُ

ولا واحـداً في ذا الورىٰ من جَمَـاعَـةٍ ولا البَعضَ من كـلٍّ ولكنّك الضِّــعْفُ

ولا الضِّعْفَ حتىٰ يَتبَعَ الضِّعفَ ضِعفُه ولا ضِعفَ ضِعفِ الضِّعفِ بل مثله ألْفُ

فقد وصـف الممدوح بأنه ليس بِقَلِيل وَلَا صَـغِير الْمِقْدَار وَلَا بخسـيس فيرتجىٰ الْغَيْث دونه وَلَا يرتجىٰ هو، كما أن الممدوح لَيْسَ وَرَاءَه للجود مُنْتَهىٰ وهو ليس وَاحِدًا من جَمِيع النَّاس وَلَا بَعْضًـا من كلهم وَلَكِنَّه ضـعف

(١)يتيمة الدهر .ج١ ص ٢٠٦ . ت . د/ مفيد قميحة . دار الكتب العلمية . بيروت . ط أولىٰ . ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م .

(٢) ينظر : سر الفصاحة ص٩٧وما بعدها.

(٣)الصبح المنبي ج ١ ص ٥٢١.

جَمِيعهم ؛ لِأَنَّه يغنىٰ غناءهم في الْحَاجة ويزيد عَلَيْهِم زِيَادَة ضعف الشئ علىٰ الشـئ ، ثم إن المتنبي لم يقنع بأن الممدوح ضـعف الورىٰ جميعا ، فجعل ذَلِك الضـعْف ضـعفين ثمَّ زاد علىٰ ذَلِك بأضـعاف كَثِيرَة حَتَّىٰ بلغت ألفا [1] فالشـاعر ارتقىٰ في وصـفه للممدوح حتىٰ جعله فوق الورىٰ بأضـعاف كثيرة وليس الأمر كما قال الدكتور / محمد كمال حلمي معلقا علىٰ أبيات المتنبي السابقة قال : (ألا ترىٰ كيف انتقلنا من الشعر والخيال إلىٰ عمليات حسابية ومسائل رياضية، بل وإلىٰ متواليات هندسية لا تحلها كتب اللغة، وإنما تحلها جداول اللوغاريتم.)[2] وهو متأثر بما ذكره ابن وكيع سـابقا ، وقد فاته وفات من سـبقوه القيمة المعنوية المتمثلة في المبالغة والترقي في المعنىٰ فكأن كل لفظة من هذه المادة (ضـعف) ترتقي بالممدوح ضـعف الدرجة التي وصـل إليها و المقام هنا مقام مدحٍ، وتكرير (الضـعف) ، وثيق الارتباط بغرض القصيدة وهو المدح، فالتكرار هنا " إلحاح علىٰ جهة هامة في العبارة يعنىٰ بها الشـاعر أكثر من عنايته بسـواها .....فالتكرار يسـلط الضوء علىٰ نقطة حساسة في العبارة ويكشف عن اهتمام المتكلم بها ، وهو بهذا المعنىٰ ذو دلالة نفسية قيمة تفيد الناقد الأدبي الذي يدرس الأثر ويحلل نفسـية كاتبه "[3] فتكرر(ضـعف) دال علىٰ امتلاء المتنبي بحب الممدوح

(١)ينظر : شرح العكبري ج٢ ص ٢٩٠.

(٢)أبوالطيب المتنبي .حياته وخلقه وشعره وأسلوبه . د/ محمد كمال حلمي . ص ٢٧٤ .مطبعة الشباب . القاهرة . ط ١٣٣٩هـ . ١٩٢١م .

(٣)قضايا الشعر المعاصر . نازك الملائكة . ص ٢٤٢ . مكتبة النهضة . ط الثالثة ١٩٦٧م

وتسلط هذا المعنىٰ (ضعف الورىٰ) علىٰ خلجات نفسه فبالغ في وصف الممدوح بها حتىٰ بلغ بها ما بلغ .

وكذا القيمة الصوتية المتمثلة في ما يحدثه تكرار ألفاظ بعينها من ترنم تطرب له الآذان عده الدكتور عبدالله الطيب المجذوب علامة علىٰ قوة الطبع وسلامة النشأة ، بل إنه يورد الأبيات السابقة ويجعل هذا التكرار الذي عيب عليه أمارة العبقرية يقول – رحمه الله – :" والتكرار من هذا النوع كثيرٌ في قصائد المتنبي الأوليات، ولا تخلو منه حتىٰ بعض السيفيات ، وقد عيب عليه ، وعد من سقطاته وعندي أن هذا الذي أخذ عليه إنما كان رياضة العبقرية وتعلم الملكية، وحمل الطبع علىٰ مسلك صار فيما بعد سرا من أسرار إبداع المتنبي الذي لا يدفع، وأحسبني إن قلت إنه لم يبل مبلغه في هذا المسلك أحد من المحدثين اللهم إلا المعري في بعض ما ذهب إليه علىٰ تكلف منه في ذلك والبحتري أحيانًا ما عدوت وجه الإنصاف ، وقد استغل المتنبي التكرار الترنمي استغلالا كاد ينفرد به. وهو يضفي علىٰ شعره لونا موسيقيا جليلا يناسب طبيعته وطبيعة ما كان يتناوله من أغراض، وما ينظم فيه من بحور"[1]

وبذلك يكون بيت المتنبي لا عيب فيه بل هو من النمط العالي ولا وجه لما ذكره أبوهلال العسكري من قدح فيه .

(١)المرشد إلىٰ فهم أشعار العرب. د/ عبدالله الطيب المجذوب . ج٢ ص ٨٦ دار الآثار الإسلامية. وزارة الإعلام . الكويت. ط الثانية ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩ م .

يقول المتنبي :

٤- فقلقلت بالهمّ الّذىٰ قلقل قلاقل عيس كلّهنّ قلاقل[١]

هذا البيت من قصيدة قالها المتنبي في صباه ، ومطلعها :

قِفَا تَرَيَا وَدْقي فَهَاتَا المَخايِلُ وَلا تَخْشَيا خُلْفًا لِما أَنَا قائِلُ[٢]

معنى البيت :

قَالَ الواحدي : "حركت بِسَبَب الْهم الَّذِي حرك نَفسِي نوقا خفافا فِي السّير يَعْنِي سَافَرت وَلم أعرج بالْمقَام الَّذِي يلحقني فِيهِ الضيم" [٣]

نقد أبي هلال :

عاب أبوهلال هذا البيت في معرض حديثه عن التجنيس كما مر في حديثه عن بيت المتنبي (ولا الضعف .....) [٤] فهو يخرجه من باب التجنيس المفيد ، وعاب أبوهلال هذا البيت في باب التوشيح قال : " ومما عيب من هذا الضرب (التوشيح) .....

وقول بعض المتأخرين :

فقلقلت بالهمّ الذىٰ قلقل الحشا قلاقل عيس كلّهنّ قلاقل

وإنما أخذه من قول أبىٰ تمام فأفسده:

طلبتك من نسل الجديل وشدقم كوم عقائل من عقائل كوم [٥]

---

(١)البيت في الصناعتين ص ٣٩٩و ٣٤٥، وفي ديوان المتنبي ص ٣٤.

(٢) الديوان ص٣٤.

(٣) شرح الديوان . الواحدي . ج ١ ص ٢١٤.

(٤)ينظر : ص ٤٦من هذا البحث .

(٥)الصناعتين ص ٣٩٩.وبيت أبي تمام في ديوانه ص ٢٨٥

فأبوهلال لم يجد إلا بيت المتنبي ليمثل به في معيب التجنيس والتوشيح بل إن أباهلال يسلب المتنبي معناه ويتهمه بأخذه من معنىٰ بيت أبي تمام .

البيت في التراث النقدي :

تلقف الصاحب بن عباد البيت السابق فعَابَ أَبَا الطّيب بِهَذَا الْبَيْت ودعا عليه وَقَالَ :" مَاله قلقل الله أحشاءه وَهَذِه القافات الْبَارِدَة ؟"[1] وجعل الحاتمي هذا البيت كسابقه من قبيل الهذيان[2]

وذكرالبيت صاحب الوساطة في جملة الأبيات التي أخذت علىٰ أبي الطيب[3]

وعاب ابن وكيع بيت المتنبي السابق وذكر أن المتنبىٰ قليل الجناس فلما جانس جاء بغير طائل[4]

وذكره الثعالبي في باب تكرير اللفظ في البيت الواحد من غير تحسين[5]

وابن رشيق يبين أن المتنبي كان ولعا بالتجنيس فيقول : (وسمع أبو الطيب باستحسان هذا النوع فجعله نصب عينيه حتىٰ مقته وزهد فيه، ولو لم يكن إلا بقوله:

---

(١) لم أقف للصاحب علىٰ هذا الرأي في كتابه إلا أنه اشتهر عنه ونقله غير واحد من أهل العلم . ينظر : شرح الديوان للواحدي ج ١ ص ٢١٤ وما بعدها ، وشرح الديوان للعكبري ج ٣ ص ١٧٦ .

(٢) الرسالة الموضحة . ص ٤٨ .

(٣) الوساطة ص ٨٣.

(٤) ينظر : المنصف للسارق والمسروق ص ٣٠٦.

(٥) .يتيمة الدهر .ج١ ص ٢٠٦.

فقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا قلاقل عيس كلهن قلاقل

فهذه الألفاظ كما قال كلهن قلاقل)[1]

ويفهم من كلام ابن رشيق أن المتنبي كان يقصد قصدا إلىٰ هذا النمط من الشعر وهذا الملحظ سيكون عونا في بيان رأي البحث في هذا البيت .

وجعل ابن سنان القبح كله في بيت المتنبي حيث كرر في البيت الأول لفظة مكررة الحروف فجمع القبح بأسره في صيغة اللفظة نفسها ثم في إعادتها وتكرارها[2]

وفي التذكرة الحمدونية عيب البيت بركاكة اللفظ والتكرير الذي لا معنىٰ تحته إلا العيّ [3]

وذكره ابن منقذ في باب الحشو حيث كرر المتنبي ألفاظا لا فائدة في تكرارها[4]

وجعل ابن الأثير بيت المتنبي السابق من التكرير الفاحش الذي يؤثر في الكلام نقصا[5]

وأورده صاحب الطراز في باب المعاظلة في الألفاظ وذكر أن القاف وإن كانت من أنصع حروف العربية وأثبتها جرسا وأصفاها في النطق وأوضحها

(١)العمدة ج١ ص ٣٣٥.

(٢)ينظر : سر الفصاحة ص ١٠٤ .

(٣) ينظر : التذكرة الحمدونية ج٧ ص ٣١٦ .

(٤) البديع في نقد الشعر . ابن منقذ . ص ١٤٢. ت . د/ أحمد بدوي وآخرين . ط الجمهورية العربية المتحدة وزارة الثقافة والإرشاد القومي . بدون .

(٥)ينظر : المثل السائر ج ٣ ص ٢٥.

مخرجا، خلا أنها لما تكررت كانت بمنزلة مشىٰ البغل يتقدم وهو يخطو إلىٰ الوراء[1]

وابن حجة الحموي يبين أن كثرة اشتقاق الألفاظ يؤدي إلىٰ العقادة والتقييد عن إطلاق عنان البلاغة في مضمار المعاني المبتكرة، ومثل ببيت المتنبي السابق[2]

والبيت ذكره الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي في شواهد الإخلال بفصاحة الكلام لتنافر كلماته[3]

رأي البحث :

البيت عند أبي هلال من التجنيس الذي لا فائدة فيه و كلامه لا يبعد عما استقر عليه البحث البلاغي إذ البيت مثال في كتب البلاغة علىٰ عيب يخل بفصاحة الكلام هو تنافر الكلمات الناشيء من تكرار كلمات متشابهة الحروف ، وقد أكد الدكتور/ إبراهيم أنيس ذلك وبين أن بيت المتنبي اشتمل علىٰ حرف القاف ، وهوحرف يتطلب جهدا عضليا مكررا عدة مرات في كلمات مختلفة ، وذلك يؤدي إلىٰ ثقل في النطق تنفر منه الأذن ويتبع هذا رداءة في الموسيقىٰ اللفظية[4] في حين أن سيبويه يرىٰ أن الفعل

---

(١) الطراز . العلوي ج ٣ ص ٣١ .

(٢)خزانة الأدب وغاية الأرب . ابن حجة الحموي.ج ١ ص ٥٤. ت. أ/ عصام شقيو دار ومكتبة الهلال-بيروت ط ٢٠٠٤م

(٣) ينظر : هامش الإيضاح ج ١ ص ٣٩ .

(٤)ينظر : موسيقىٰ الشعر . د/ إبراهيم أنيس . ص ٣٦. مكتبة الأنجلو المصرية . ط الثانية . ١٩٥٢م .

المضعف (قلقل) يثقل علىٰ ألسنتهم وأن اختلاف الحروف أخف عليهم من أن يكون من موضع واحد لأنه يثقل عليهم أن يستعملوا ألسنتهم من موضع واحد ثم يعودوا إليه ، وهذا إذا لم يكن مهلة بين الحرفين اللذين من موضع واحد ، والمهلة أن يكون بينهما حرف آخر كقولهم قلقل وصلصل قد فصل بين القافين والصادين اللام فسهل لفصل اللام النطق بالقافين واللامين.[1] إذن فالكلمة في ذاتها خفيفة كما أنها معبرة فابن جني في معرض حديثه عن إمساس الألفاظ أشباه المعاني ، يذكر أن المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير نحو: الزعزعة، والقلقلة، وأنهم جعلوا المثال المكرر للمعنىٰ المكرر[2] فتكرير القاف واللام يحكي تكرير الحركة التي تضطرم في حشاه بسبب الهم فالكلمة مصورة بجرس حروفها للمعنىٰ الذي تدل عليه ، فتكرار القاف واللام في مجمل كلمات البيت قد يورث البيت ثقلا ، لكنه ثقل بلاغي له دلالته وخلابته ، إن هذا النغم الثقيل الناتج من تكرار القاف واللام يتوافق مع حس الشاعر ومعانيه وأفكاره فهذا الثقل من أهم مظاهر بلاغة البيت" لأن المعنىٰ والعاطفة قد يقتضيان هذا التنافر ويجعلانه أمرا لازما "[3] وهذا ما أحاول طرحه وقراءة هذا البيت وأمثاله

(١) ينظر : شرح كتاب سيبويه . أبوسعيد السيرافي . ج ٥ ص ٣٥٧وما بعدها . ت . أ/ أحمد حسن مهدلي. وآخرون
دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ط . الأولىٰ، ٢٠٠٨ م.

(٢)الخصائص ابن جني ج٢ ص ١٥٥ . الهيئة المصرية العامة للكتاب ط . الرابعة .

(٣)الشعر الجاهلي .منهج في دراسته وتقويمه . د/ محمد النويهي ج١ ص٤٧. الدار القومية للطباعة والنشر .القاهرة . بدون .

قراءة ثانية ، تستوضح ذلك وترجع بالبيت إلىٰ حضن صاحبه وعقله وفكره ، في محيط التجربة الشعرية الكاملة التي أنتجت القصيدة كاملة و التي اشتملت علىٰ هذا البيت فالحكم النقدي الغافل عن هذه الأطر يبقىٰ ناقصا غير سديد.

فالقصيدة قالها المتنبي في صباه ، حيث فورة الشباب والإعلان الصاخب عن الذات وسبيله في ذلك الخروج عن المألوف ، وقرع الآذان بما لم تتعود عليه ، والقصيدة من مطلعها إلىٰ آخرها تؤكد علىٰ هذا فهو يبدأ القصيدة بقوله :

قِفَا تَرَيَا وَدْقي فَهَاتَا المَخايِلُ وَلا تَخْشَيا خُلْفاً لِما أَنَا قائِلُ

يَقُول لصاحبيه اصبرا قَلِيلا تريا من أَمْرِي شَأْنًا عَظِيما فقد ظَهرت مخايله وَإِنِّي لَا أخلف الْوَعْد وَلَا القَوْل فقد بَان مَا كنت أَقُول لَكمَا ، وأخذ يبين شأنه في كل بيت من أبيات القصيدة ويستشعر منذ صباه أنه سيكون غرضا للسهام من خساس الناس ومن الذين يجهلون مكانته :

رَماني خساسُ النّاس من صائبِ استِهِ وآخَرَ قُطْنٌ من يَدَيهِ الجَنَادِلُ

ومن جاهلٍ بي وَهْوَ يَجهَلُ جَهلَهُ وَيَجْهَلُ عِلمي أنّهُ بيَ جاهِلُ

وَيَجْهَلُ أنّي مالكَ الأرْضِ مُعسِرٌ وَأنّي علىٰ ظَهرِ السِّماكَينِ رَاجِلُ

ويتمدح نفسه بعلو الهمه والشرف فيقول :

تُحَقِّرُ عِندي هِمّتي كُلَّ مَطلَبٍ وَيَقصُرُ في عَيني المَدىٰ المُتَطاوِلُ

وهو ثابت راسخ كالجبال لا يحركه إلا الضيم :

وما زِلْتُ طَوْداً لا تَزُولُ مَنَاكبي إلىٰ أنْ بَدَتْ للضّيْمِ فيّ زَلازِلُ

ولذلك فالهم الذي اضـــطرم في نفســـه يجعله لا يقيم في مكان يلحقه فيه الضيم :

فقَلْقَلْتُ بالهَمّ الذي قَلْقَلَ الحَشَـا قَـلاقِـلَ عِـيسٍ كُـلّـهُـنّ قَـلاقِـلُ

ثم يقول في آخر القصيدة :

غَثَـاثَـةُ عَيشــي أنْ تَغَـثّ كَرامَتي وَلَيسَ بغَـثٍّ أنْ تَغَـثّ المَآكـلُ[1]

فهـذه النفس الكريمـة لا ترىٰ الهزال في المطعم وإنمـا تراه في هزال كرامتها.

فالقصيدة ترجمة لشخصية المتنبي الأبية والبيت الذي عبر فيه عن رفض الضيم وأنه لا يقيم بمكان يلحقه فيه الضيم جاء معبرا ومبينا الحركة النفسية العاتية في حشاه فالهم لم يتحرك حركة عادية وإنما جاء الفعل المضعف (قلقل) ليصور بجرسه وقوته هذا الهم المتردد في حشاه والذي كان بمثابة الوقود الدافع لرفض الضيم ،وهذه الحركة القوية العنيفة ناسبها أن يكون مضمارها (الحشا) وهو يجمع كل ما في داخل الجوف وما أضمرت عليه الضلوع ؛ ليبلغ به التأثر مداه فلم يكن تأثرا لامس النفس أو القلب بل خالط وتردد في نفسه وقلبه ودمه وأعصابه وهو ما تصوره تلك الكلمة المعبرة (الحشا) وأذكىٰ المعنىٰ وقواه المجاز العقلي في إسناد الفعل (قلقل) إلىٰ ضمير الهم وهو السبب ؛ ليبرز أهمية السبب وقوته في إحداث القلقلة حتىٰ

(١) الديوان ص ٣٤ وما بعدها وينظر في معاني الأبيات : شرح العكبري ج٣ ص ١٧٤ وما بعدها .

كأن الهم هو المقلقل للحشا ؛ ولأن استجابة نفسه للبعد عن الضيم سريعة ناسبه ذلك أن يستدعي (القلاقل) دون غيرها وهي النوق الخفيفة السريعة ، فحرف القاف المكرر مع اللام نشر حركة وثابة في ثنايا البيت فأسمعت حركة الأحشاء ، وحركة النوق الخفيفة وهي تدق مسرعة علىٰ الأرض.

ويبقىٰ أن أقول إن البيت منسجم مع بناء القصيدة التي اشتملت علىٰ أكثر من بيت تكررت فيه الكلمات وكان لهذا التكرار قيمته كما في قوله:

ومن جاهلٍ بي وَهْوَ يَجهَلُ جَهلَهُ وَيَجْهَلُ عِلمي أنّهُ بيَ جاهِلُ

وقوله :

غَثَاثَةُ عَيشي أنْ تَغَثّ كَرامَتي وَلَيسَ بغَثٍّ أنْ تَغَثّ المَآكلُ

فالقصيدة قد بنيت علىٰ تكرار بعض الألفاظ في البيت الواحد وهذا يرجح ما ذكره ابن رشيق من أن المتنبي كان يستحسن ذلك ويقصد إليه قصدا [1]

ولذلك أنصف الواحدي حين قال:"ولا يلزمه في هذا عيب فقد جرت عادة الشعراء بمثل هذا "[2] وذكر أن الأعشىٰ وهو من رؤساء شعراء الجاهلية قد شلشل قال:

وقد غدوت إلىٰ الحانوتِ يتبعني شاوٍ مشلٌّ شلولٌ شلشل شولُ

ومسلم بن الوليد وهو من رؤساء المحدثين قد سلسل قال :

(١) ينظر : ص٥٢ من هذا البحث .

(٢) شرح الديوان للواحدي ج ١ ص ٢١٥.

سـلَّت وسـلت ثم سـلَّ سـليلُها فأتىٰ سـليلُ سـليلها مسـلولا[1]

فالواحدي يبين أن المتنبي إذا كان قد قلقل فإن الأعشىٰ قد شلشل ومسلم قد سلسل فلم يكن المتنبي بدعا في ذلك ، بل أجزم أن وقع القلقلة في بيت المتنبي أبلغ من غيرها .

ويبدو أن أباهلال قد رأىٰ في بيتي الأعشىٰ ومسلم عونا للمتنبي وأنصاره في ردهم علىٰ من عابوا أبا الطيب فذكر أبوهلال البيتين وأبان أن هذا الصنيع مستهجن لا يجوز لمتأخر أن يجعله حجة في إتيان مثله ، لأن هذا وأمثاله شاذ معيب، والعيب من كل أحد معيب، وإنما الاقتداء في الصواب لا في الخطأ[2]

وبذلك يتضح أن بيت المتنبي لا عيب فيه ، وأن نقد أبي هلال وغيره من أهل العلم فيه نظر ؛ لأن بناء البيت علىٰ هذا النحو أدىٰ دوره الدلالي كما أراده الشاعر .

(١) شرح الديوان للواحدي ج ١ ص ٢١٥.

(٢) ينظر : الصناعتين ص ٣٤٤.

يقول المتنبي :

٥- ويســعـدني في غـمرة بعـد غـمرة سـبوح له منها عليها شـواهد[١]

هذا البيت من قصيدة قالها يمدح سيف الدولة عندما قصد خرشنة فعاقه الثلج عن ذلك، ومطلعها :

عَوَاذِلُ ذاتِ الخَـالِ فيّ حَوَاسِـدُ وَإنّ ضَـجيعَ الخَوْدِ منّي لمَاجِدُ[٢]

معنى البيت :

غمرة الحرب: شدتها، والسبوح: الفرس التي تمد يديها في الجري.

يقول: وتسعدني في غمرات الحرب، فرس كريمة، سبوح سريعة، لها من حسن خلقها شواهد، تخبر عن كرمها وعتقها[٣].

نقد أبي هلال :

ففي معرض حديثه عن صنعة الكلام وما يجب أن يتوخاه الشاعر أو الكاتب يبين أبوهلال أنه يجب تجنب إعادة حروف الصلات والضمائر ، يقول أبوهلال : "وينبغي أن تتجنَّب إعادة حروف الصلات والرباطات في موضع واحد إذا كتبت مثل قول القائل: منه له عليه. أو عليه فيه. أو به له منه. وأخفها له عليه، فسبيله أن تداويه حتىٰ تزيله بأن تفصل ما بين الحرفين، مثل أن تقول: أقمت به شهيداً عليه. ولا أعرف أحداً كان يتتبّع العيوب فيأتيها غير مكترث إلا المتنبي، فإنه ضمّن شعره جميع عيوب الكلام ما أعدمه شيئًا منها حتىٰ تخطّىٰ إلىٰ هذا النوع فقال:

---

(١)البيت في الصناعتين ص ١٦٦ ، وفي ديوان المتنبي ص ٣١٩.

(٢) الديوان ص ٣١٩.

(٣) شرح الديوان. الإفليلي . ج١ ص ٣٧٧ ت. د/ مُصْطفي عليَّان . مؤسسة الرسالة . بيروت – لبنان ط .الأولىٰ، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.

ويســعدني في غمرةٍ بعد غمرةٍ سـبوحٌ لـه منهـا عليهـا شـواهـدُ

فأتىٰ من الاستكراه بما لا يطارُ غرابُه فتدبّر ما قلناه، وارتسمه تظفر ببغيتك منه إن شاء الله. "[1]

وأبو هلال كعادته لا يتخفف من نقده بل يجعله مدخلا لهدم المتنبي بالكلية فهو يبين ما ينبغي تجنبه في صنعة الكلام ويعيب علىٰ المتنبي الضمائر في قوله :(له منها عليه) فينطلق من عيب – إن صح له ذلك – ليهدم شعر الرجل بالكلية بل يهدم المتنبي نفسه إذ ألبثه ثياب العي ، حين جعله يتتبع العيوب فيأتيها غير مكترث حتىٰ ضمن شعره كل عيوب الكلام ، وهذا لعمري كلام جانب كل معاني الحيدة والإنصاف .

البيت في التراث النقدي :

عاب الصاحب ابن عباد بيت المتنبي السابق فقال : "وكنت أتعجب من كلام أبي يزيد البسطامي في المعرفة؛ وألفاظه المعقدة؛ وكلماته المبهمة، حتىٰ سمعت قول شاعرنا هذا في وصفه فرس:

وتســعـدني في غمرة بعـد غمرة سـبوح لها منها عليها شـواهد

وما أحسن ما قال الأصمعي لمن أنشده:

فما للنوىٰ جد النوىٰ قطع النوىٰ كـذاك الـنـوىٰ قـطـاعـة لـوصـال

لو سلط الله علىٰ هذا البيت شاة لأكلت هذا النوىٰ كله"[2]

(١)الصناعتين . ص ١٦٦ .

(٢) ينظر : الكشف عن مساويء شعر المتنبي ص ٥٢

فهو لا يكتفي بوصف بيت المتنبي بالتعمية والتعقيد بل يسخر ويعجب،ويتهكم ويورد رد الأصمعي علىٰ من أنشده (فما للنوىٰ .....) وكأنه يقول إن بيت المتنبي يستحق الدعاء عليه كما دعا الأصمعي .

وعابه الحاتمي وذكر أن من أسوأ العبارة قول المتنبي يصف فرسًا(سَبوحُ لها منها عليهاَ شَواهدُ)[1]

وعابه الثعالبي وذكر أن من عيوب شعر المتنبي امتثال ألفاظ المتصوفة واستعمال كلماتهم المعقدة، ومعانيهم المغلقة، ومثل لذلك بقول المتنبي السابق[2] .

وعاب ابن سنان الخفاجي بيت المتنبي ؛ لأن الحروف التي تربط بعض الكلام ببعض وتدل علىٰ معنىٰ في غيرها كما يقول النحويون يقبح تكررها في الكلام وإن اختلفت ألفاظها وذلك لأنها جنس واحد ومشتركة في المعنىٰ، فذلك العيب الذي لا يتوجه عذر فيه[3]

وذكر ابن الأثير أن من المعاظلة اللفظية قول المتنبي السابق وأن قوله : "لها منها عليها" من الثقيل الثقيل الثقيل[4] .

(١)الرسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبي و ساقط شعره. أبو علي الحاتمي . ص ١٥.

(٢) يتيمة الدهر ج ١ ص ٥٢.

(٣) ينظر سر الفصاحة ص: ١٠٥.

(٤) المثل السائر ج١ ص ٣٠٨ .

وذكره الخطيب القزويني في حديثه عن فصاحة الكلام وأن من تمامها خلوص الكلام من كثرة التكرار وتتابع الإضافات ومثل للتكرار ببيت المتنبي[1]

وعاب العلوي بيت المتنبي فذكر أن قوله" لها منها عليها " من قبيح السبك وسوء التأليف ، وما ذاك إلا لأجل تكرر أحرف المعانىٰ فأكسبته هذا الثقل الذىٰ تعافه النفوس[2]

وعابه بهاء الدين السبكي بكثرة التكرار ونقل القول بالتعقيد فيه فقال : "وادعىٰ بعضهم التعقيد في تكرار هذه الضمائر، وفيه نظر؛ لأن رجوعها إلىٰ شئ واحد واضح. فإن فرض ذلك حيث تختلف الضمائر اختلافا لا يظهر معه المعنىٰ، كان عدم الفصاحة للتعقيد، لا للتكرار"[3]

فالدرس البلاغي متفق علىٰ أن بيت المتنبي معيب وأن سبب العيب هو تكرار أكثر من حرف جر مع الضمائربعدها (سبوح لها منها عليها) وذلك أحدث ثقلا علىٰ اللسان وكرها في الآذان وأكسب البيت تعقيدا وتعمية في بيان المعنىٰ ، وهذا يعد عيبا من العيوب التي تخل بفصاحة الكلام ، وهذا مجمل ما قيل .

---

(١) ينظر : الإيضاح ج ١ ص ٣٦.

(٢)الطراز ج ٣ ص٣١ .

(٣)عروس الأفراح. بهاء الدين السبكي. ج١ ص٨٥. ت. د/ عبد الحميد هنداوي. المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت ط الأولىٰ، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣م

رأي البحث :

جاء البيت محل النقد ضمن أبيات يتحدث فيها المتنبي عن فرسه الذي يشاركه كافة المعاني والأحاسيس التي تجيش في صدره ، فالمتنبي يمر علىٰ دار محبوبته فيتعجب من عرفان فرسه الدار التي عهد بها أحبته، يقول :

مَرَرْتُ علىٰ دارِ الحَبيبِ فحَمْحمتْ جَوادي وهل تُشجي الجيادَ المعاهدُ؟

ثم يقرر أن الفرس الدهماء ما كان لها أن تنكر رسم المنزل التي شربت به ضريب الشول (وهو اللبن الخاثر الذي حلب بعضه علىٰ بعض والشول النوق التي قلت البانها) يقول :

وما تُنكِرُ الدّهْمَاءُ مِن رَسْمِ منزِلٍ سَقَتها ضَريبَ الشَّوْلِ فيهِ الوَلائِدُ

ثم يبين أن الليالي تحول بينه وبين ما يريد ، ومع ذلك لا يستسلم ، يقول:

أهُمّ بشَيْءٍ واللّيَالي كأنّهَا تُطارِدُني عَنْ كَوْنِهِ وَأُطارِدُ

وهو لعظم ما يطلبه وحيد من الخلان وإذا عظم المطلوب قل من يساعدك علىٰ ذلك، يقول :

وَحيدٌ مِنَ الخُلاّنِ في كلّ بَلْدَةٍ إذا عَظُمَ المَطلُوبُ قَلّ المُساعِدُ

إذن فالفرس صاحبه والليالي تطارده ، وليس له صاحب وهمته عالية ؛ لأن مطلوبه عظيم وكل ماسبق تمهيد لإبراز دور هذا الفرس النجيب الذي يسعف الشاعر في كل الشدائد ، يقول :

وَتُسْعِدُني في غَمرَةٍ بَعدَ غَمْرَةٍ سَبُوحٌ لهَا مِنهَا عَلَيْهَا شَوَاهِدُ

وهي لذلك مرنة منقادة طيعة سريعة الاستدارة لينة الأعطاف في الميدان وعند الطعان[1]، يقول :

(١) ينظر في معاني الأبيات : شرح الديوان . الواحدي . ج ٤ ص ١٧٧٧ .

تَثَنّىٰ عَلىٰ قَدْرِ الطّعانِ كَأَنّمَا مَفَاصِـلُهَا تَحْتَ الرّماحِ مَرَاوِدُ [1]

هكذا يجب أن نبين الأبيات السابقة واللاحقة لبيت المتنبي ليتبين الحكم النقدي السديد ، إن المتنبي في خضم الحياة التي تعانده وتطارده ليس له إلا هذا الفرس الذي تفنن في وصفه ورسمه ، إذ بدأ بصفاته الخُلقية فهو فرس نجيب أصيل يشعر ويتجاوب ولا يتخلىٰ عنه وقت الشدة ، ثم ثنىٰ بصفاته الخِلقية فهو سبوح سريع الجري طيع لين ينثني في سرعة فمفاصله في سرعة استدارتها إذا لوىٰ عنانها عند الطعان كمسمار المرود تدور حلقته كيف ما أديرت .

فالبيت في سياقه العام للقصيدة واقع موقعه ولبنة قوية في تشكيل البناء الكلي للقصيدة وهو في سياقه الجزئي قمة في الأداء التعبيري فالفعل " تسعدني " له بلاغته مادة وصياغة فالفعل وإن كان من " الإسعاد " بمعنىٰ المعونة إلا أن في أصل مادته " سعد " معنىٰ السعادة فهو لا يخلصه وينجيه من الشدائد فقط بل يلمح فيه مع كل ذلك معنىٰ السعادة ، ومجيء الفعل مضارعا "والمعنىٰ قيل علىٰ المضىٰ أىٰ: أسعدتنىٰ؛ لأنه أراد الإخبار عما صدر منها (الفرس) في بعض الحروب، لكنه عدل إلىٰ المضارع استحضارا للصورة الغريبة. أىٰ: صورة الإسعاد، ولكن الأقرب أن يراد الاستمرار التجددىٰ بقرينة المقام"[2] فصياغة المضارع استحضرت صورة الإنقاذ ودلت علىٰ تجدد قيام الفعل منه وأن هذا الفرس دائما علىٰ استعداد.

---

(١) الديوان ص ٣١٨ ومابعدها .

(٢)حاشية الدسوقي علىٰ مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني . الشيخ / محمد بن عرفة الدسوقي . ص ٢٠٦ وما بعدها .ت . د/ عبد الحميد هنداوي

وجاء حرف الوعاء (في) ليجعله في خضم الغمرات والشدائد وهذا شأن الفارس المغوار ، فهو لا يكون علىٰ هامش الأحداث بل في أتونها ، فقد أدخله حرف الوعاء إلىٰ وسط الشدة حتىٰ كأنها شملته من كل جانب والتعبير عن الشدة بالمرة من الغمر استعارة معبرة موحية يقول العصام : " [ويسعدني في غمرة بعد غمرة] يريد بالغمرة الشدة استعيرت عما يغمرك من الماء"[1] فشبه الشدة بالغمربجامع إحاطة الهلاك من كل جانب ، علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية ، ولأنها شدائد عظيمة فإنها لا تحتاج إلىٰ فرس أي فرس وإنما إلىٰ " سبوح " ، يقول العصام : " [سبوح] فعول بمعنىٰ فاعل من السبح، السباحة بعد اشتهار استعارتهما لشدة عدو الفرس مع حسن جريها بحيث لا يتعب راكبها، كأنه يجري في الماء، يستوي فيه المذكر والمؤنث، ولا يخفي حسن ذكر السبوح بعد التعبير عن الإسعاد في شدة بعد شدة، بالإسعاد في غمرة بعد غمرة "[2] ففي قول المتنبي (سبوح) استعارة تصريحية تبعية استعير فيها السبح للجرىٰ الشديد واشتق من السبح سبوح بمعنىٰ: جارية جريا شديدا وفي الاستعارة دلالة علىٰ سرعة الجري وسلاسته وسهولته دون عناء من راكبها ، وكل هذه الاستعارات توضح القوة الفاعلة والمؤثرة التي أحس بها المتنبي تجاه فرسه .

المكتبة العصرية، بيروت. بدون .

(١)الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم . إبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين الحنفي ج١ ص ١٨٠ ت . د/ عبد الحميد هنداوي دار الكتب العلمية، بيروت. بدون.

(٢)السابق والصفحة .

ونأتي لقوله : (لها منها عليها) فلم ير فيه ابن جني عيبا قال : "وقوله : (لها منها عليها شواهد) كأنه من كلام الصوفية، وهو صحيح أي: إنه إذا نظر أحد إلىٰ استواء خلقها وتناسب أعضائها علم أنها كريمة سابقة، فكأنه قال: لها شواهد من خلقها علىٰ كرمها"[1] وكذلك أبوالعلاء دافع عن بيت المتنبي وذكر أن ما فعله المتنبي جاء مثله في القرآن الكريم وجيد الشعر ، يقول : "وعيب عليه في الجمع بين حروف الجر، والكنايات المتناسبة ولا مطعن عليه. ومثله: في القرآن العظيم قوله تعالىٰ: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ﴾ [سورة المائدة:٤٥]،﴿ وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [سورة طه:١٨]، وفي الشعر قول الكميت:

إنّ ابن حزم عمرو من ذوىٰ كرمٍ لي فيه منه علاماتٌ وآثار"[2]

وقد تأثر الدكتور شوقي ضيف بكلام ابن جني فأرجع كثرة الضمائر في هذا البيت إلىٰ تأثر المتنبي بأساليب المتصوفة لاعتمادهم في أشعارهم علىٰ فكرة الحلول وما يتفرع عنها من الملابسة والتجريد ، حتىٰ يستطيع الشاعر أن يستخرج من الفرس شواهد تشهد لها عليها [3]

(١)الفسر ج١ ص ٧٩٥.

(٢) شرح الديوان . المعري . ج٣ . ص ٢٠٣.

(٣)ينظر : الفن ومذاهبه . د/ شوقي ضيف . ص ٣١٨ .

ويذكر الدكتور عبدالرحمن حنبكة تعليقا علىٰ بيت المتنبي أن تعاقب الأدوات قد لا يكون ثقيلاً مستكرهـًا ويرجع الحكم بالثقل وعدمه إلىٰ ذوق الفصحاء [1]

وأرى أن قوله (لها منها عليها) ما هو إلا طريق عميق من طرق المتنبي التي أوغل فيها برفق وذكاء ليدلل علىٰ أهمية هذا الفرس ودوره الرئيس في حركة حياته فهو بالنسبة له كل شيء ، خاصة أن الضمائر كلها تعود إلىٰ (سبوح) فـ(لها) صفة لسبوح ولام الملكية جعلت هذه الشواهد ملكا لها و (منها) أفاد حرف الجر التجريد فقد جرد المتنبي من ذات الفرس ذاتا تكون دالة وشاهدة عليه فالسبوح لها من نفسها علامات شاهدة بأصالتها ونجابتها وقوله (عليها) متعلق بـ«شواهد» فاعل له ، لاعتماده علىٰ الموصوف وهو سبوح، وإنما لم يجعل الظرف خبرا مقدما، وشواهد مبتدأ مؤخرا- مع جواز ذلك- لاحتياجه لنكتة، لتقدم الخبر وليس هنا نكتة لتقدمه[2] والشهادة علىٰ الشيء لا تكون إلا في المضرة يقول الدسوقي : " الشهادة المعداة بعلىٰ لم ترد إلا للمضرة، والقصد هنا المنفعة وهو الشهادة بنجابة الفرس، أو يقال إن الشهادة علىٰ حالها، وعلىٰ بمعنىٰ اللام، أو أن هذه الشهادة لما كان يترتب عليها الدخول في الحروب والوقوع في الهلكات. عبر بعلىٰ إذ ليس علىٰ

(١) ينظر : البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها . د / عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني . ج ١ ص ١٢٠ . دار القلم، دمشق . ط . الأولىٰ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

(٢) ينظر : حاشية الدسوقي ج١ ص ٢٠٨.

الفرس أضر من الشاهد الذىٰ يشهد لها بالنجابة."[1] فالشهادة بنجابتها لما كان أثره خوض غمرات الحرب بها فكأنه قد شهد عليها فقوله : (لها منها عليها) لا أثر للاستكراه فيه بل هو دلالة قدرة واقتدار من أبي الطيب فالسبوح لها الشواهد ، ومنها الشواهد ، وعليها الشواهد ، فالأمر منها وإليها ، وهي سيدة الموقف والعنصر الرئيس في حياة المتنبي خاصة أنه وحيد من الخلان وتتناغم انطلاقة السبوح وعدوه في يسر وسهولة مع مقاطع المد المفتوحة في: (لها) و(منها) و(عليها) ، وهذا المعنىٰ يلتقي مع دلالة المرونة ولين الأعطاف في قوله :

تَثَنّىٰ عَلىٰ قَـدْرِ الطّعـانِ كَـأنّمَـا مَفَاصِـلُهَا تَحْتَ الرّمـاحِ مَرَاوِدُ

ولا ينتهي جمال وخلابة البيت إلا مع آخر كلمة فيه ، يقول الشيخ / محمد عليش المالكي : " قوله (شواهد) جمع شاهد معناه الأصلي المخبر بما علمه ، واستعير هنا للعلامات الدالة علىٰ نجابتها استعارة تبعية فإن الشهادة مستعارة لدلالة العلامات الدالة علىٰ نجابة الفرس إذ معناها الحقيقي وهو الخبر القاطع غير متصور هنا"[2] فالدلالات الواضحة في حكم الناطقة بنجابة هذا الفرس وهو ما دلت عليه الاستعارة التصريحية التبعية .

(١) حاشية الدسوقي ج١ ص ٢٠٨.

(٢) حاشية عليش علىٰ الرسالة البيانية للصبان . الشيخ / محمد عليش المالكي ص ١٤٧ وما بعدها . ت . أ/ أحمد مزيد المزيدي . دار الكتب العلمية . بيروت . بدون .

فكل هذه العطاءات تجعل البيت من منح أبي الطيب لا من محنه ومن إبداعاته لا من إخفاقاته ، وبذلك لم يسلم لأبي هلال ولا لغيره كل ما أخذه علىٰ ألفاظ أبي الطيب ، وظهر تحامله الشديد عليه ، وكان جليا تأثره بالصاحب بن عباد في ذلك .

الفصل الثاني :
نقدات أبي هلال لمعاني أبي الطيب

تمهيد :

إذا كان أبوهلال قد اهتم باللفظ وجعله أساسا في بلاغة الكلام ، فهذا لا يعنىٰ إهماله للمعنىٰ بالكلية ؛ بل يعني تقديمه اللفظ علىٰ المعني في بيان أبلغية الكلام ؛ لأن اللفظ والمعنىٰ متلازمان ، فاللفظ يلفظ وينطق وله دلالته ومعناه وأبوهلال يقدم اللفظ إلا أنه يدرك أهمية المعنىٰ ومدىٰ التلازم الحاصل بينهما "فأبوهلال العسكري كانت نظرته للفظ والمعنىٰ نظرة ازدواجية ، تجعل ألفاظ الجملة المسبوكة في جانب ، وتجعل المعنىٰ الناتج عنها في جانب آخر ، ولما كان الأمر عنده كذلك كان علىٰ أحدهما أن تكون له المزية الزائدة علىٰ الآخر في جودة الكلام ، فكان هو اللفظ الذي صال وجال يستدل لفضله ، ونحن نقول المزية الزائدة لأن أبا هلال لا يرىٰ للفظ المزية الكاملة المنفطعة ، فهو أيضا يشيد بالمعنىٰ وبأهميته " [1]

وأقول إن أمر أبي هلال مع المعاني لم يتوقف عند مجرد الإشادة بل عقد فصلا في كتابه سماه " التنبيه علىٰ خطأ المعانىٰ وصوابها ليتّبع من يريد العمل برسمنا مواقع الصواب فيرتسمها، ويقف علىٰ مواقف الخطأ فيتجنّبها"[2] وجاء في مستهله قوله : " إن الكلام ألفاظ تشتمل علىٰ معان تدلّ

(١) ثنائية اللفظ والمعنىٰ في كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري . أ/ حمزة دحماني ص ٢٤٩ . مجلة قراءات للبحوث والدراسات الأدبية والنقدية واللغوية . عدد رقم ٣ إصدار إبريل ٢٠١٣م .

(٢) الصناعتين ص ٩٦.

عليها ويعبر عنها، فيحتاج صاحب البلاغة إلىٰ إصابة المعنىٰ كحاجته إلىٰ تحسين اللفظ؛ لأنّ المدار بعد علىٰ إصابة المعنىٰ، ولأنّ المعانىٰ تحلّ من الكلام محلّ الأبدان، والألفاظ تجرىٰ معها مجرىٰ الكسوة، ومرتبة إحداهما علىٰ الأخرىٰ معروفة"[1]

فأبو هلال اهتم بتحسين اللفظ وإصابة المعنىٰ ولا أدل علىٰ ذلك من توقفه مع معاني بعض الشعراء وأخذه عليهم عدم التوفيق في إصابة المعنىٰ كما فعل مع أبي الطيب ، علىٰ النحو الذي سنوضحه في الصفحات التالية :

(١)الصناعتين ص ٩٦.

يقول المتنبي :

١ – إني علىٰ شـغفي بما في خمرها لأعفّ عمـا في سـرابيلاتهـا [١]

هذا البيت قاله من قصيدة يمدح فيها أبا أيوب أحمد بن عمران ومطلعها:

سـرب محاسـنه حرمت ذواتها داني الصفات بعيد موصوفاتها[٢]

معنى البيت :

أنا مع حبي لوجوههن أعف عن أبدانهن.

نقد أبي هلال :

روىٰ بعض العلماء ومنهم أبوهلال بيت المتنبي السابق بلفظ (سراويلاتها) بدلا من (سرابيلاتها) وعابوا البيت السابق ، فجعله أبوهلال من شنيع الكناية قال :"ومن شنيع الكناية، قول بعض المتأخرين:

إني علىٰ شـغفي بمـا في خمرِهـا . لأعفُّ عمـا في سـراويلاتِهـا

وسمعت بعض الشيوخ يقول: الفجور أحسن من عفاف يعبّر عنه بهذا اللفظ"[٣] وعابه في ديوان المعاني بمثل ما عابه به في الصناعتين .[٤] والشيخ الذي روج لفكرة الفجور هو الصاحب بن عباد ونقلها عنه أبوهلال وغيره .

البيت في التراث النقدي :

عاب هذا البيت الصاحب بن عباد اعتمادا علىٰ أن البيت جاء بلفظ (سراويلاتها) فصب جام غضبه علىٰ أبي الطيب خاتما كتابه بهذا النقد اللاذع فقال : "كانت الشعراء تصف المآزر وتكني بها عما وراءها تنزيهـًا لألفاظها

---

(١)البيت في الصناعتين ص ٣٨٤، وفي ديوان المتنبي ص١٨٥ .

(٢) الديوان ص ١٨٥ .

(٣)الصناعتين ص٣٨٤ .

(٤) ينظر: ديوان المعاني ج ١ص٢٦٨ .

عما يستشنع ذكره حتىٰ تخطىٰ هذا الشاعر المطبوع إلىٰ التصريح الذي لم يهتد له غيره فقال:

إني علىٰ شغفي بما في خمرها لأعف عما في سراويلاتها

وكثير من العهر أحسن من عفاف هذا الشاعر"[1]

وكل من جاء بعده خاصة من كان في نفوسهم شيء لأبي الطيب تأثروا بنقد الصاحب فلم يخرجوا عما قاله واسمين بيت المتنبي بالفجر والعهر.

وعابه الحاتمي وقال : شتان هذا(يقصد بيت المتنبي السابق) من قول الأول:

لا والذي تسجُدُ الجباهُ لهُ ما لي بما تحتَ ذيلهاِ خَبرُ[2]

وذكر القاضي الجرجاني البيت في جملة الأبيات التي أخذت علىٰ أبي الطيب[3]

وابن وكيع ينقل رأي أبي العباس النامي المصيصي في هذه الكناية وتفسيره لها زاعما أن ذكر هذا اللفظ يدل علىٰ أن المتنبي كان له علوق بما كنىٰ عنه قال : "فإن كان اشتهىٰ لفظ السراويلات فلا علة لذلك إلا أنها تضم ما تضمه مما يقصد فيه إلىٰ مقصد رديء"[4]

وهذا الرأي تجن علىٰ أبي الطيب أبعد فيه أبوالعباس وأغرب ودخل إلىٰ عالم النية التي لا يعلم حالها إلا الله – عزوجل – ويبين الدكتور إحسان

(١)الكشف عن مساويء شعر المتنبي ص ٧٥.

(٢)الرسالة الموضحة ص ٩.

(٦) الوساطة ص ٨٥.

(٤)المنصف للسارق والمسروق منه . ابن وكيع . ص ١٣٣.

عباس سبب عداوة النامي لأبي الطيب فيذكر أن أبا العباس أحمد بن محمد الدارمي المصيصي المعروف بالنامي كان شاعر سيف الدولة المقدم قبل أن يفد أبوالطيب إلىٰ بلاطه ، فلما استأثر المتنبي بالمقام الأول اغتاظ النامي حتىٰ قيل إنه عاتب سيف الدولة في ذلك، ولذا فليس بغريب أن يكتب في المتنبي رسالة يتعقب فيها أخطاءه، وهي رسالة لم تشر إليها المصادر، ولولا ابن وكيع لما عرفنا خبرها، فإنه يشير إليها وينقل عنها في مواضع من كتابه " المنصف "[1] فليس بغريب أن يفتري النامي علىٰ أبي الطيب هذه الفرية .

وينقل الثعالبي رأي الصاحب في كناية المتنبي السابقه ولم يزد علىٰ ذلك.[2]

واعتمد ابن سنان كلام الصاحب فذكر قبح الكناية في (سراويلاتها) فقال: "فلا شيء أقبح من ذكر السراويلات وما أعرف كناية أشهد الله أن التصريح أجمل منها ووصف عفة سلوك الريب والتهم أحسن من التلفظ بها إلا كناية أبي الطيب هذه ونعته عفافه هذا النعت "[3]

وعاب ابن حمدون البيت في باب السرقات وجعل البيت من قبيل الافتضاح [4]

(١) ينظر : تاريخ النقد الأدبي عند العرب . د/ إحسان عباس ص ٢٧٠ . دار الثقافة، بيروت ط . الرابعة ١٩٨٣م .

(٢)يتيمة الدهر . ج١ ص ٥٠ .

(٣)سر الفصاحة ص ٧٤ .

(٤)التذكرة الحمدونية ج٧ ص ٣١٣. والبيت في ديوان الشريف الرضي ص

وعابها ابن الأثير فذكر أن (سراويلاتها) كناية عن النزاهة والعفة، إلا أن الفجور أحسن منها[١] .

ونقل يوسف البديعي رأي الصاحب مسلما له بما قاله من نقد لبيت أبي الطيب[٢]

رأي البحث :

عاب أبو هلال وغيره (سراويلاتها) وجعلوا هذه الكناية أقبح من العهر والفجر ، والبحث يرجح رواية الديوان (سرابيلاتها) وأن الصاحب تعمد تحريف الكلمة ليشنع علىٰ أبي الطيب يقول الواحدي : "وسمعت أبا الفضل العروضي يقول سمعت أبا بكر الشعراني يقول هذا ما غير عليه الصاحب وكان المتنبي قد قال لأعف عما في سرابيلاتها جمع سربال وهو القميص وكذا رواه الخوارزمي يقول أنا مع حبي لوجوههن أعف عن أبدانهن"[٣]

وأبوبكر الشعراني كان خادما للمتنبي كما نعته بذلك العكبري في أكثر من موضع من شرحه[٤] فهو أكثر ملازمة له من غيره ، وكذا هي رواية الخوارزمي وهو من أشهر رواة الشعر وحفاظه .[٥]

والقصيدة محاطة بسياج من العفة والرقة والطهر ، فقد بدأها بقوله :

---

(١)ينظر :المثل السائر ج ٣ ص ٧١.

(٢)ينظر : الصبح المنبي ج٢ ص١٥٥ .

(٣) شرح الواحدي ج٢ ص ٨١٨ .

(٤) ينظر : شرح العكبري ج٣ ص ١٣ . وج٤ ص ١٨٦

(٥) ينظر: المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث . د/ محمد عبدالرحمن شعيب . ص ٩٥ .دار المعارف . مصر .ط أولىٰ ١٩٦٤م .

سـرب محاسـنه حرمت ذواتها داني الصـفات بعيد موصـوفاتها

فهو قادر علىٰ وصف محاسن هذا السرب والمقصود به جماعة النساء إِلَّا أَن الْمَوْصُوف بِهَذِهِ الصّفة وَهُوَ السرب بعيد عَنىٰ فَالْمَعْنىٰ هَذَا السرب بعيد منىٰ وَذكره حَاضر فَمَتَىٰ مَا طلبت ذكره حضر.

ثم تحدث عن رقتهن فقال :

أوفي فكنـت إذا رميـت بمقلتي بشـراً رأيـت أرق من عبراتهـا

يَقُول : أشرف علىٰ هَذَا السرب من مَكَان عَال فإِذا وَقع بصرىٰ علىٰ بَشرَتهَا رَأَيْت أرق وألطف من عبرات المقلة.

ثم بين وقع زفراته وأناته علىٰ العيس التي تحمل أرق النساء فقال :

يسـتـاق عيسـهم أنيني خلفهم تتوهم الزفرات زجر حـداتهـا

يَقُول : الْإِبِل تظن كلما أننت وبدت زفراتىٰ أَنَّهَا لشدتها أصوات الحداة فتسرع فِي السّير فسائقها أنينىٰ وزفراتىٰ ، لَا أصوات الحداة .

ويشبه العيس بالشجر لكنه ما جنىٰ منها إلا الهلاك يقول :

وكـأنـهـا شـجـر بـدا لـكـنـهـا شـجر جنيت الموت من ثمراتها

وعَادَة الْعَرَب أنها تشبه الْإِبِل المرحلة عَلَيْهَا هوادجها بِالنَّخْلِ وَالشَّجر والسفن يُرِيد فَكَأَن هَذِه العيس شجر بدا أىٰ ظهر وَقد جنيت الموت من ثمرات هذه الأشجار لأنها سَارَتْ بالأحبة فكَانَت سَبَب فراقهن وَهُوَ الموت الذىٰ جناه مِنْهَا .

ولذلك استحقت هذه الإبل الدعاء عليها فقال :

لا سـرت مـن إبـلٍ لـو أني فـوقـهـا لمحـت حرارة مـدمعي سـمـاتهـا

وحملـت مـا حملـت من هـذي المهـا وحملت ما حملت من حسـراتها

يدعو علىٰ تلك الإبل بأن لا تسير ثم ذكر أنه لو كان فوقها لمحت حرارة دموعه سماتها أي علاماتها

ويدعو عليها أيضا فيَقُول : حملت مَا حملت من حسراتها وحملت أَنا مَا حملت من هَذِه المها وَهن بقر الْوَحْش شبههن بالمها لحسن عيونهن.

ثم يذكر عفته في البيت محل النقد فيقول :

إنىٰ علىٰ شغفي بما في خمرها ... لأعفّ عما في سرابيلاتها

فهي عفة مع وجود الداعي وهذا أدل علىٰ المروءة والأدب ، وقد حسم المتنبي الجدل بين (سرابيلاتها) و(سراويلاتها) بما جاء بعد هذا البيت فقال:

وترىٰ المروة والفتوة والأبـ ... ـوة في كل مليحةٍ ضراتها

فالجميلات ينظرن إلىٰ هذه الخصال(المروة والفتوة والأبوة) علىٰ أنها ضراتهن ؛ لأن هذه الخصال تمنعني الخلوة بهن يُرِيد أَن كل مليحة ترىٰ فِي هَذِه الْخِصَال الَّتِىٰ تمنعنىٰ الْخلْوَة بِهن ضراتها[1] .

فهل بعد هذا الفيض من المعاني الرقيقة والعفيفة التي بين المتنبي من خلالها مشاعره وأحاسيسه يقع المتنبي في العهر والفجر بسبب كلمة لم يقلها ولا مكان لها في معاني القصيدة ؟!

إن الصاحب بن عباد حرَّف الكلمة علىٰ النحو الذي يريح نفسه وينفس عن غيظه وحقده ، فصادف هذا التدبير نفوسا قد تلقفته بالقبول والفرح والسرور ، غفرالله لهم .

(١) ينظر: في معاني هذه الأبيات : شرح العكبري ج ١ ص ٢٢٥ وما بعدها .

وعلىٰ فرض صحة رواية أبي هلال وأن البيت جاء بلفظ (سراويلاتها) فأين الفجر والعهر؟! أليس من دواعي الكناية أن يكون اللفظ الصريح مما يستقبح ذكره ،؟! ومن عادة العرب وشأنهم، استعمال الكنايات في الأشياء التي يستحيىٰ من ذكرها، قصدا للتعفف باللسان [1] إن المتنبي يتحدث عن حبه الشديد وتملك الرغبة في محبوبته لكن يمنعه العفاف من مباشرتها ، أي فجر وأي عهر في ذلك ؟! وأين الصاحب وأبوهلال مما قاله امرؤ القيس:

فمثلك حبلىٰ قد طرقت .....البيت [2]

أو الغزل الفاحش عند عمر بن أبي ربيعة و أبي نواس وبشار وغيرهم ؟!

إن بيت المتنبي ليس فيه ما يؤاخذ عليه حتىٰ في الرواية التي تعلق بها الصاحب بن عباد ومن شايعه .

(١) ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب . النويري ج٣ ص ١٥٢ . دار الكتب والوثائق القومية . القاهرة ط . الأولىٰ، ١٤٢٣ هـ .

(٢)ديوان امريء القيس . ص ١٢ . ت . أ/ محمد أبوالفضل إبراهيم . دار المعارف . القاهرة . ط الرابعة . ١٩٨٤م .

يقول المتنبي :

٢ - فتًى ألْفُ جُزْءٍ رَأيُهُ في زَمَانِهِ أقلُّ جُزَيْءٍ بعضُـهُ الرّأيُ أجمَعُ[١]

هذا البيت من قصيدة قالها في صباه يمدح علي بن أحمد الطائي ومطلعها:

حُشـاشَـةُ نَفسٍ وَدَّعَت يَومَ وَدَّعوا فَلَم أَدرِ أَيَّ الظـاعِنَينِ أُشَـيِّعُ[٢]

معنى البيت :

يَقُول هَذَا الممدوح لَهُ الرأىٰ الذىٰ لَا يُشَارِكهُ فِيهِ أحد فَلهُ من الرأىٰ ألف جُزْء وَأَقل جُزْء مِنْهَا بعضه الذىٰ في أيدىٰ النَّاس كلهم فَالنَّاس يدبرون أَمْوَالهم بِأَقَلّ بعض رَأْيه[٣]

نقد أبي هلال :

جاء في معرض حديثه عن الغلو أن من عيوب هذا الباب أن يخرج فيه إلىٰ المحال، ويشوبه بسوء الاستعارة، وقبيح العبارة؛ ثم ذكر أن من الغلو الغث قول المتنبي:

فتىً ألف جزءٍ رأيهُ في زمانه أقلّ جزء بعضــه الرأي أجمع[٤]

البيت في التراث النقدي :

هذا البيت عابه الحاتمي وجعله من غث الكلام ومستكرهه [٥]وذكر القاضي الجرجاني البيت في جملة الأبيات التي أخذت علىٰ أبي الطيب [٦]

---

(١)البيت في الصناعتين ص ٣٧٦، وفي ديوان المتنبي ص٣١.

(٢) الديوان ص ٣٠ .

(٣) شرح العكبري ج ٢ ص ٢٤٢ .

(٤) ينظر : الصناعتين ص ٣٧٦ .

(٥) ينظر : الرسالة الموضحة . ص ١٣ .

(٦) الوساطة ص ٨٢.

وعاب البيت ابن وكيع وذكر أن المعنىٰ ظاهر التعسف بين التخلف [1] وعابه الثعالبي وذكره في معرض حديثه عن استكراه اللفظ وتعقيد المعنىٰ عند المتنبي [2]

فالبيت يدور عيبه بين الغلو الغث والتواء اللفظ المسلم إلىٰ تعقيد المعنىٰ.

رأي البحث :

جعل أبوهلال بيت المتنبي السابق من الغلو الغث ، والغلو عند أبي هلال باب برأسه غير المبالغة عرفه بأنه تجاوز حد المعنىٰ والارتفاع فيه إلىٰ غاية لا يكاد يبلغها [3] والمبالغة عنده لا تبعد عن هذا المعنىٰ يقول والمبالغة أن تبلغ بالمعنىٰ أقصىٰ غاياته، وأبعد نهاياته، ولا تقتصر في العبارة عنه علىٰ أدنىٰ منازله وأقرب مراتبه [4]

وقد استقر الدرس البلاغي علىٰ أن المبالغة هي أن يدعىٰ لوصف بلوغه في الشدة أو الضعف حدّا مستحيلا أو مستبعدا وهي أقسام :التبليغ والإغراق والغلو فالتبليغ هو أن يدعي لوصف بلوغه في الشدة أو الضعف حدًا ممكنًا عقلًا ، والإغراق هو أن يدعي لوصف بلوغه في الشدة أو الضعف حدًا ممكنًا عقلًا، ولكنه مستحيل عادة والغلو هو أن يدعي لوصف بلوغه في الشدة أو الضعف حدًا مستحيلًا عقلًا وعادةً. والتبليغ والإغراق مقبولان مطلقا من غير شرط والمقبول من الغلو أصناف، منها: ما أدخل عليه ما يقربه إلىٰ الصحة

(١) ينظر : المنصف في السارق والمسروق منه ص٤١ .

(٢) يتيمة الدهر ج١ ص ١٩٢.

(٣) ينظر : الصناعتين ص ٣٦٩.

(٤) السابق ص ٣٧٨ .

نحو «يكاد» وما يضمن نوعا حسنا من التخييل وما أخرج مخرج الهزل والخلاعة[1]

وأيد الدكتور عبد العزيزعتيق رؤية أبي هلال النقدية فجعل بيت المتنبي من الغلو غير المقبول ؛ لأن وجود إنسان رأيه علىٰ النحو الذي صوره الشاعر ممتنع عقلا وعادة، وذكر أنه غلو غث لا يدعو إلىٰ الإعجاب به بل إلىٰ التعجب منه![2]

وبالنظر إلىٰ بيت المتنبي :

فتًى ألْفُ جُزْءٍ رَأيُهُ فِي زَمَانِهِ أقلُّ جُزَيْءٍ بعضُهُ الرّأيُ أجمَعُ

نجد أنه يمدح الرجل بالفتوة وأن رأيه في زمانه ألف جزء وأن أقل جزء بعضه الرأي الذي عند كل الناس فالمتنبي قد بلغ في وصف الممدوح بسداد الرأي حدا يستحيل عادة لا عقلا ، فهو من قبيل الإغراق ، لا الغلو وإذا كان قدامة بن جعفر يرجح الغلو علىٰ غيره فيقول : (إن الغلو عندي أجود المذهبين، وهو ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديمًا.وقد بلغني عن بعضهم أنه قال: أحسن الشعر أكذبه)[3]

(١) ينظر : الأطول ج ٢ ص ٤٢٥ وما بعدها .

(٢)علم البديع د/ عبد العزيز عتيق ص ١١١ دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان . بدون .

(٣) نقد الشعر. قدامة بن جعفر ص . ١٩ مطبعة الجوائب . قسطنطينية . ط الأولىٰ. ١٣٠٢هـ .

فإن المتنبي لم يبعد في تمدحه ، بل إنه امتلأ بحب الممدوح فبالغ ونفذ إلىٰ ما أراد التعبير عنه ، فبنىٰ القصيدة علىٰ المبالغة في أوصاف الممدوح فهو غمام ممطر :

غَمـامٌ عَلَينـا مُمطِرٌ لَيسَ يُقشِـعُ وَلا البَرقُ فيـهِ خُلَّبـًا حينَ يَلمَعُ

بل فضله علىٰ الغمام من وجهين: أحدهما. أن عطاءه لا ينقطع بحال ، كما تنقطع أمطار الغمام. والثاني. أن وعده بالعطاء غير كاذب كالبرق الخلب أي: كالغمام الذي يكون برقه خلبًا لا يأتي بمطر. فهو يصفه بإدامة الجود والوفاء بالوعود.

وهو فصيح :

فَصـيحٌ مَتىٰ يَنطِق تَجِد كُلَّ لَفظَةٍ أُصـولَ البَراعـاتِ الَّتي تَتَفَرَّعُ

وهو ليس فصيحا فحسب بل إن المتنبي جعل كل لفظة من قوله أصول البراعات. فجعل كل لفظة أصولاً.

وهو كريم :

وَلَيسَ كَبَحرِ الماءِ يَشتَقُّ قَعرَهُ إِلىٰ حَيثُ يَفنىٰ الماءُ حوتٌ وَضِفدَعُ

أَبَحرٌ يَضُـرُّ المُعتَفينَ وَطَعمُـهُ زُعـاقٌ كَبَحرٍ لا يَضُـرُّ وَيَنفَعُ

وهذا الممدوح في سخائه ليس كبحرٍ يقدر الحوت والضفدع علىٰ شقه إلىٰ حيث يفنىٰ الماء، بل هو أعمق وأنفع ويدلل علىٰ هذه الأفضلية في البيت الثاني فيقول: إن البحر هو الذي يضر قاصديه، والطالبين المعروف منه، وماؤه ملحٌ مر، وهذا الممدوح ينفع معتفيه ولا يضرهم، وعطاؤه هنيٌّ وخلقه حلو شهيٌّ.

حتىٰ ينتهي المتنبي إلىٰ قوله :

أَلَيسَ عَجيبًا أَنَّ وَصــفَكَ مُعجِزٌ وَأَنَّ ظُنوني في مَعـاليـكَ تَظلَعُ [1]

فهو يتعجب من أن وصف الممدوح بلغ حدا يعجزالمتنبي نفسه عن بلوغ وصفه ؟! مع قدرته علىٰ الشعر. وأن ظنونه في معالي الممدوح تكل وتعجز؟! مع إصابتها في الأمور.[2] فالبيت في سياقه متفق مع معاني القصيدة، ومع نفسية المتنبي المعجبة بهذا الممدوح ، الذي بالغ في وصفه حتىٰ جعل الإحاطة بوصفه من قبيل المعجزة التىٰ لا يستطيعها المتنبي نفسه .

وأرىٰ أن ما يؤخذ علىٰ المتنبي في هذا البيت هو ما أصاب المعنىٰ من تعقيد نشأ من التقديم والتأخير فترتيب الكلام : فتىٰ رأيه في زمانه ألف جزء، وأقل جزء من هذه الأجزاء بعضه أي بعض الأقل الرأي الذي في أيدي الناس كله، فألف جزء مرفوعٌ لأنه خبر مبتدأ قدم عليه وهو قوله رأيه وأقل مرفوعٌ بالابتداء وبعضه مبتدأٌ ثانٍ وهو مضاف إلىٰ ضمير المبتدأ الأول والرأي خبرٌ عن المبتدأ الثاني وأجمع توكيدٌ للرأي[3].) ويرجع الدكتور أحمد الشايب هذا التصرف الأسلوبي إلىٰ إيثار الشاعر المعنىٰ علىٰ اللفظ ، فيعنىٰ بعمقه وتركزه وجدته ، وتوليد بعضه من بعض ، ولا يعنىٰ بأن يلبسه كفاءة من اللفظ الكاشف الواضح، أو السلس العذب، أو القوي المتين، فيقع في التعقيد ، أو الخشونة ، أو الهجنة ، أو التكلف الممقوت فيفسد اللفظ ويبهم المعنىٰ ، ومثل لذلك بقول المتنبي :

---

(١) ينظر : الديوان ص ٣١ وما بعدها .

(٢) ينظر في معاني الأبيات : شرح العكبري ج٢ ص: ٢٤٤.

(٣) ينظر : تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي . أبو المرشد المعري ج١ ص٥٠.

فتًى ألْفُ جُـزْءٍ رَأيُـهُ في زَمَـانِـهِ أقلُّ جُزَيْءٍ بعضُــهُ الرّأيُ أجمَعُ

وبين أن نظام البيت كما يلي: هو فتىٰ رأيه في زمانه ألف جزيء، وأقل جزيء منه، بعضه هو كل ما عند الناس من الرأي.[1] فقدم وأخر فأصاب المعنىٰ التواء وتعقيد .

وما يجب أن نكون منه علىٰ ذكر أن هذه القصيدة قالها المتنبي في صباه، وقد أصاب الشيخ / محمود شاكر – رحمه الله – حين لا حظ أن قصائد الصبا عند المتنبي لا يريد الإعلان فيها عن شاعريته فحسب بل يريد الإعلان عن شاعر الحكمة والفلسفة والعلوم ؛ فقد ضمن شعره ما يدلل به علىٰ معرفته بالمعارف المتنوعة كعلم الحساب كما هو الحال هنا ، وهذا الأمر قد يسلمه إلىٰ التقديم والتأخير مما يصيب البيت ببعض الالتواء و الغموض[2] ويؤكد الشيخ / محمود شاكر – رحمه الله – علىٰ أن ذلك كان دأب المتنبي في شعره الأول فيقول : " فلسنا نشك بعد أن هذا الفتىٰ المتوقد الذي قال عنه كثير ممن رأوه إنه كان واسع العلم والمعرفة قد اختلط وسمع وبحث ونظر وجادل وأخذ بأطراف مما سمع وقرأ وحفظ حتىٰ بان ذلك في شعره الأول بيانا لا خفاء فيه ثم قل بعد أن استحكمت قوته وغلب عليه الأصل الشعري الذي استولىٰ علىٰ أكثر موهبته وقدرته "[3]

(١) ينظر : الأسلوب د/ أحمد الشايب ص ١٧٤ وما بعدها مكتبة النهضة المصرية ط الثانية عشرة ٢٠٠٣م .

(٢) ينظر : المتنبي . الشيخ / محمود شاكر ص .١٩٠ . مطبعة المدني . ط ١٩٧٧ م .

(٣) السابق ص ١٨٨ . وما بعدها .

ومعنىٰ كلام الإمام أن المتنبي كان يميل إلىٰ تلك المسالك ويقصد إليها قصدا في تلك المرحلة العمرية من حياته لفتا لمواهبه وتفننا منه في إبداء شاعريته ، وكأنه يصرخ إعلانا بقدومه ، ولذلك نظر ابن جني إلىٰ هذا الصنيع من المتنبي وغيره من كبار الشعراء من زاوية أخرىٰ رأي فيها اقتدارا وقوة طبع ، يقول ابن جني : "فمتىٰ رأيت الشاعر قد ارتكب مثل هذه الضرورات علىٰ قبحها وانخراق الأصول بها فاعلم أن ذلك علىٰ ما جشمه منه وإن دلَّ من وجه علىٰ جوره وتعسفه فإنه من وجه آخر مؤذن بصياله وتخمطه وليس بقاطع دليل علىٰ ضعف لغته ولا قصوره عن اختياره الوجه الناطق بفصاحته . بل مثلُه في ذلك عندي مثل مُجرىٰ الجمُوح بلا لجام ووارد الحرب الضرُوس حاسرا من غير احتشام . فهو وإن كان ملوما في عُنفه وتهالكه فإنه مشهود له بشجاعته وفيض منته ألا تراه لا يجهل أن لو تكفر في سلاحه أو أعصم بلجام جواده لكان أقرب إلىٰ النجاة وأبعد عن الملحاة لكنه جشم ما جشمه علىٰ علمه بما يعقب اقتحامُ مثله إدلالا بقوة طبعه ودلالة علىٰ شهامة نفسه"[1]

فابن جني يرىٰ في مثل هذه الضرورات قبحا وتعسفا من وجه ، ويرىٰ فيها شجاعة وفيضا من عطاياه وإدلالا بقوة الطبع وشهامة النفس ، و" اللّغة الشّعرية هي خلق لغوي جديدإفرادا وتركيبا، وعلىٰ هذا الأساس تطوّرت النّظرة إلىٰ الضرورات الشّعرية مع المدارس النّقدية الحديثة لاسيما الأسلوبية ، فتحرّرت من نظرة الاستقباح والتحفّظ، واعتُبرت مُعطًىٰ فنّيا أسلوبيا يدخل في جوهر لغة الشّعر المباينة للغة الخطابات الأخرىٰ، ولا أدّل

(١)الخصائص ج ٢ ص ٣٩٢ .

علىٰ ذلك من ورودها في بعض أشعار المتقدّمين من غير حاجة ملحّة يدعو إليها الوزن والقافية .فالضّرورة الشّعرية ضرب من ضروب التّوليد في اللّغة يثري بها الشّاعر اللّغة وينحو بها نحوا جديدا ، ولهذا صار من الإجحاف اعتبارها تقصيرا من الشّاعر وعدم كفاءة بل هي علىٰ عكس ذلك من مظاهر اقتدار الشّاعر ونشاطه الخلاّق "[1]

ويرىٰ الدكتور محمد حماسة في هذا العدول النحوي فاعلية في ثراء المعاني فيقول : " إن الوقوف علىٰ المعاني النحوية وفاعليتها في القصيدة محاولة لطرق أهم أبوابها للولوج إلىٰ عالمها وهذا يقتضي أن نحسن الظن بالشعراء الكبار فلا ننظر إلىٰ شعرهم بمعيار التصويب والتخطئة – وبخاصة الشعراء المتقدمون – بل ينبغي أن نحاول استكشاف أسرار التراكيب لديهم حتىٰ تلك التي تبدو عليأنها من – وجهة نظرنا – مخالفات نحوية يرتكبونها في شعرهم، إنهم يعمدون إليها عمدا غير غافلين عنها، فوراءها معنىٰ متساوق مع المعنىٰ الشعري للقصيدة ، ولقد كانت نظرة التصويب والتخطئة وراء وقوف بعض النقاد العرب القدماء من هذه المخالفات موقف العيب والانتقاص والتحذير من ارتكاب أمثالها "[2] ويكون هذا المسلك أولىٰ في التعامل مع شاعر كبير مثل المتنبي لا يغيب عنه ما يصنع .

(١)الضرورة الشعرية دراسة أسلوبية. د / السيد إبراهيم محمد . ص ١٤١ دار الأندلس . بيروت، ط ٣ . ١٩٨٣م .

(٢)فاعلية المعنىٰ النحوي في بناء الشعر. د / محمد حماسة عبد اللطيف . ص١٣٧. مكتبة الزهراء. عابدين. ط ١٩٨٣.

يقول المتنبي :

٣- تَتَقاصَــرُ الأفهامُ عَنْ إدْراكِهِ مِثْلَ الذي الأفْلاكُ فيهِ والدُّنَىٰ [١]

هذا البيت من قصيدة يمدح فيها المتنبي بدر بن عمار ومطلعها :

الحُبُّ ما مَنَعَ الكَلامَ الألْسُنَا وألَذُّ شَكْوَىٰ عاشِقٍ ما أعْلَنَا[٢]

معنى البيت :

يقول :إن أفهام الناس تتقاصر عن إدراك هذا الممدوح كما تقاصرت عن علم الشيء المحيط بالأفلاك وبالأرَضين [٣]

نقد أبي هلال :

جعل أبو هلال هذا البيت كسابقه مثالا للغلو الغث ثم قال معلقا علىٰ البيت السابق : " سئل عما فيه الأفلاك والدنا، فقال: علم الله، ونيته لا تدل عليه فأفرط وعمّىٰ، وجمع دنيا علىٰ قول أهل الأدوار والتناسخ"[٤]

البيت في التراث النقدي :

عاب الصاحب بن عباد البيت فقال : فالمصراعان لتنافيهما يتبرأ أحدهما من الآخر تبرئي من الكفار والمخالفين، ثم (الدنىٰ) من الألفاظ التي لا يبلي الإنسان أن يعدم مثلها من شعره."[٥]

---

(١) البيت في الصناعتين ص ٣٧٦، وفي ديوان المتنبي ص ١٥١ .

(٢) الديوان ص ١٥٠ .

(٣) شرح الديوان . الواحدي . ج ٢ ص ٧٠٠.

(٤) الصناعتين ص ٣٧٦ .

(٥) الكشف عن مساويء المتنبي . ص ٥٩ وما بعدها .

وعابه الثعالبي وذكره في معرض حديثه عن ضعف العقيدة ورقة الدين عند المتنبي ، حيث قال : (وقد أفرط جداً؛ لأن الذي الأفلاك فيه والدنا هو علم الله عز وجل.) [1]

وعابه البديعي فذكر أن فيه ما يدل علىٰ ضعف العقيدة ورقة الدين ومع أن الديانة علىٰ – حد قوله – ليست عياراً علىٰ الشعراء، ولا سوء الاعتقاد سببا لتأخر الشاعر، ولكن للإسلام حقه من الإجلال الذي لا يسوغ الإخلال به قولا وفعلا، ونظمًا ونثراً، ومن استهان بأمره، ولم يضع ذكره وذكر ما يتعلق به في مواضع استحقاقه، فقد باء بغضب من الله تعالىٰ، وعرض لمقته في وقته، وكثيراً ما قرع المتنبي هذا الباب ومثل لذلك بأكثر من بيت منها هذا البيت :

تتقاصر الأفهام عن إدراكه مثلُ الذي الأفلاك فيه والدُّنا

ثم بين موطن الزلل فقال : "وقد أفرط جداً، لأن الذي الأفلاك فيه والدنا، هو علم الله عز وجل"[2]

رأي البحث :

عيب علىٰ المتنبي في البيت السابق الإفراط في المعنىٰ وضعف العقيدة ، وجمع كلمة (الدنيا) علىٰ (الدنا) وهذا الجمع – كما قال النقاد – هو قول أهل الأدوار والتناسخ والبحث يبريء ساحة بيت المتنبي من كل ذلك ؛ فالممدوح هو بدر بن عمار "وقد أخلص في حب المتنبي وإيثاره بالخير ،

(١) يتيمة الدهر ج١ ص٢١٠.

(٢) الصبح المنبي . ج٢ ص ١٥٧ .

واصطفائه لنفسه حتىٰ ألغىٰ الحجاب بينه وبينه واستطاع المتنبي أن يدخل عليه وقد حجب نفسه عن الناس ، ثم اشترك المتنبي معه في لهوه وعبثه ومجونه "[1] وقد قابل المتنبي كل هذا الحب والتقدير والاحتفاء بقصائد شعرية خلدت ذكر بدر بن عمار ، حتىٰ تعجب من زمان بدر بن عمار وصفاته فقال :

أحلما نرىٰ أم زمانا جديدا أما الخلق في شخص حي أعيدا؟[2]

إن ما يراه من صفات الممدوح وأخلاقه وشجاعته وكرمه وسماحته وهمته جعله يتحير أهذا الذي لم يره من قبل حلم كما يحلم النائم ، أم أننا نعيش زمانا جديدا أم أن الممدوح تجمعت فيه كل صفات الخلق ؟ وهذا شأن المتنبي مع بدر بن عمار في كل قصائد مديحه يبالغ في وصفه ، لأن المتنبي إذا رغب أطرب وبالغ وحلق بالمعنىٰ إلىٰ غاية لا بعدها غاية ، والقصيدة التي جاء فيها بيت المتنبي السابق (تتقاصر الأفهام عن إدراكه) بنيت علىٰ المبالغة في بيان صفات بدر بن عمار فهو يمدحه بالكرم فيقول :

لأبي الحسين جدي يضيق وعاءه عنه ولو كان الوعاء الأزمنا

وبالشجاعة فيقول :

وشجاعة أغناه عنها ذكرها ونهىٰ الجبان حديثها أن يجبنا

يتفزع الجبار من بغتاته فيظل في خلواته متكفنا

(١) مع المتنبي . د/ طه حسين . ص ١١٧ . مؤسسة هنداوي للطباعة والنشر . القاهرة . ط أولىٰ ٢٠١٣ م .

(٢) الديوان ص ١٥١.

وأمر من فقد الأحبة عنده فقد السيوف الفاقدات الأجفنا

لا يستكن الرعب بين ضلوعه يومًا ولا الإحسان أن لا يحسنا

ثم بسعة العلم فيقول :

مُسْتَنْبِطٌ من عِلْمِهِ ما في غَدٍ فكأنّ ما سيَكونُ فيهِ دُوِّنَا

تتقاصر الأفهام عن إدراكه مثل الذي الأفلاك فيه والدنىٰ

فالشاعر كما يقول الدكتور / طه حسين : " كان يريد أن يبهر ممدوحه من جهة وكان صادقا في تصوير ما يملأ نفسه ، ويملكها من الفرح والمرح والسرور ، فهو يصطنع المبالغة ولكنه لا يتكلفها ليخدع بها الممدوح عن نفسه وماله ، وإنما يصدر عنه في غير تكلف لأنها تصور نفسه الراضية المبتهجة الآملة "[1]

فالبيت اشتمل علىٰ مبالغة متسقة مع سياق القصيدة و متسقة مع نفسية المتنبي ، وموقفه الراغب في إلباس بدر بن عمار معاني لا تبلىٰ .

والبيت ليس فيه ما يدل علىٰ ضعف في العقيدة ولم يكن المتنبي سفيها حتىٰ يشبه علم الممدوح بعلم الله – عزوجل – فالواحدي بين معنىٰ البيت فذكر أن المتنبي أراد أن يقول إن أفهام الناس قصيرة عن إدراك هذا الممدوح، كما تقاصرت عن علم الشيء المحيط بالأفلاك وبالدني، فإن أحدا لا يعرف ما وراء الأفلاك [2] وهذا المعنىٰ لم يتفرد به الواحدي بل ذكره

(١)مع المتنبي . د/ طه حسين . ص ١١٠

(٢)شرح الديوان . الواحدي ٢ج . ص ٧٠٠.

أبوالعلاء والتبريزي والعكبري واليازجي والبرقوقي [1] وكيف يفهم من بيت المتنبي أنه أراد علم الله وفي البيت قبله يصفه بالفطنة والذكاء واستنباط ما سيقع من خلال ما يعلمه في يومه ؟!

وهذا المعنىٰ بعيد كل البعد عن أي خلل في العقيدة ولست أدري كيف حملوا هذه الألفاظ هذا المعنىٰ الخطير (علم الله) ولقد شفي وأنصف الأستاذ / عبد الله كنون الحسني عندما رد علىٰ النقاد الذين عابوا بيت المتنبي السابق فقال :(فقالوا: لقد أفرط جدا لأنه شبه ممدوحة بالحق سبحانه وتعالىٰ، لأن الذي فيه الأفلاك والدنىٰ هو علمه عز وجل. ونقول إن هذا تعسف ظاهر، فمن الذي نقل عنه أنه يريد ما ذكرتم؟ وماذا حسن في بلاغتكم؟ التعبير عن علم الله بالذي الأفلاك فيه والدنىٰ حتىٰ رجحتموه علىٰ أن يكون المراد به هذا الفضاء الواسع الذي يحتوي الأفلاك والدنىٰ حقيقة ممتدا وراء الآفاق التي تتقاصر عن إدراكها العقول؟)[2]

وأما قولهم أن جمع (الدنيا) علىٰ (الدنا) وهو قول أهل الأدوار والتناسخ فهو محض افتراء قال ابن سيدة : (والدُّنا: جمع الدنيا، كالعُلا جمع

(١)ينظر : شرح أبي العلاء ج ٢ ص ١٩٠ . وشرح التبريزي ج٥ ص ٣١٨ وشرح العكبري ج ٢ ص ٢٠١ وما بعدها . والعرف الطيب . الشيخ ناصيف وشرح الديوان . البرقوقي . ج٤ ص ٣٣٤ .

(٢)المتنبي في ذكراه بمناسبة الألفية . الأستاذ / عبد الله كنون الحسني . مجلة الرسالة ص ٢٠ . العدد ١٣٠ – بتاريخ ١٩٣٥م .

العُليا، وهذا مُطرد)[1] وإنما جمع الدنيا علىٰ الدنا لأنه جعل كل أفق منها دنيا.[2] فبيت المتنبي لا عيب فيه ، وكل ما أخذ علىٰ البيت مردود عليه .

وقد أنصف الدكتور شوقي ضيف في إرجاعه هذا البيت وأمثاله في شعر المتنبي إلىٰ ثقافة المتنبي الواسعة يقول – رحمه الله–: " كان المتنبي مثقفًا ثقافة واسعة بكل ما عرف لعصره من معارف وآراء، وقد اتجه بشعره إلىٰ أن يستوعب أساليب هذه المعارف والآراء ، وأن يمثِّل عناصرها المتنوعة حتىٰ ينال إعجاب العلماء والمثقفين لعصره ، وهذا هو كل ما أصابته حرفة الشعر من تطور في صياغتها عند المتنبي؛ فإن القصيدة لم تعد تعبر فقط عن خواطر وجدانية بل أصبحت تعبر أيضًا عن ثقافة، حتىٰ تظفر بالنجاح في بيئات العلماء والمثقفين" [3].

(١)شرح المشكل من شعر المتنبي .ابن سيدة . ص ٢٧. مكتبة المصطفي . بدون .

(٢) شرح الديوان . المعري . ج٢ ص ١٩٠.

(٣)الفن ومذاهبه ص ٣١١ وما بعدها .

يقول المتنبي :

٤- فلا غِيضَتْ بحارُكَ يا جَمُومًا علىٰ عَلَلِ الغَرائبِ والدِّخالِ [١]

هذا البيت من قصيدة يرثي فيها والدة سيف الدولة ويعزيه و مطلعها :

نُعِدّ المَشرَفيّةَ والعَوالي وتَقْتُلُنا المَنُونُ بِلا قِتالِ [٢]

معنى البيت :

غيضت نقصت وَمِنْه (وغيض المَاء) تَقول : غاض المَاء وغضته ، والجموم الْكثير تَقول بِئْر جموم إِذا كَانَ كثير المَاء وَفرس جموم كثير الجري والعلل هُوَ الشّرْب الثَّانِي بعد النهل ، والدخال أَن يدْخل بعير قد شرب بَين بَعِيرَيْنِ لم يشربا لِيَزْدَادَ شربا ، والغرائب جمع غَرِيبَة وَهِي الَّتِي ترد علىٰ الْحَوْض وَلَيْسَت لأهل الْحَوْض وَهذا دُعَاء لَهُ بدوام عطائه يُرِيد لَا أعدم الله العفاة جزيل عطائك وتتابع إحسانك لِأَنَّك بَحر يتدفق مَعَ كَثْرَة الواردين لَهُ وَيزِيد مَعَ ترادف الشارعين فِيهِ وينال مِنْهُ الْغَرِيب القاصد كَمَا ينَال الْقَرِيب القاطن [٣]

نقد أبي هلال :

جعل أبوهلال البيت السابق من عيوب المبالغة فقال : "ومن عيوب هذا الباب(المبالغة) قول بعض المتأخرين:

فلا غيضتْ بحارُك يا جموماً علىٰ علَلَ الغرائب والدّخالِ

---

(١)البيت في الصناعتين ص ٣٨٠، وفي ديوان المتنبي ص ٢٦٨.

( ) الديوان ص ٢٦٥ .

(٣) شرح الديوان .العكبري . ج٣ ص ٢٠.

أراد أن يقول: إنك كثيرُ الجود علىٰ كثرة سؤالك فلا نقصت، فعبر عنه بهذه العبارة الغثّة ، والجموم: البئر الكثيرة الماء"[1]

وأبوهلال كعادته في الحديث عن المتنبي لا يسميه باسمه وإنما يعبر عنه بـ(بعض المتأخرين) تقليلا من شأنه والضن حتىٰ بذكر اسمه ، وأبو هلال جاء ببيت المتنبي شاهدا علىٰ عيوب المبالغة ولم يبين هذا العيب ولم يعب وصف الممدوح بالكرم بل عاب التعبير عن هذا المعنىٰ بعبارة غثة ، ولم يوضح ما الغثاثة التي اشتملت عليها العبارة فجاء نقده متكلفا فهو لا ينظر إلىٰ شعر المتنبي إلا بعين السخط .

البيت في التراث النقدي :

لم يعب هذا البيت إلا أبوهلال العسكري وابن وكيع حيث ذكر أن المتنبي سرق المعنىٰ من بيت ابن المعتز :

يا غيثُ سقّ محمداً جُوداً عليه كما فَعَلْ[2]

ولا أدري كيف يتهم المتنبي بالسرقة من بيت ابن المعتز ولا علاقة جامعة بين البيتين ؟!

رأي البحث :

البيت جاء لبيان سعة عطاء سيف الدولة وعظيم كرمه ، وقد جاء التعبير عن ذلك بألفاظ دقيقة وعبارات رشيقة ونظم بديع وتصوير خلاب كما أن البيت واقع موقعه في القصيدة ، يقول المتنبي مخاطبا ومادحا لسيف الدولة :

---

(١)الصناعتين ص ٣٨٠ .

(٢) المنصف للسارق والمسروق منه ص ٧٣٨ . والبيت لم أعثر عليه في ديوان ابن المعتز.

أسـيف الدّولة اسـتنجد بصـبرٍ وأين بمثـل صـبرك للجبـال ؟!
وأنـت تـعـلّـم الـنّـاس الـتّـعـزّي وخوض الموت في الحرب السّجال
وحـالات الزّمـان عليـك شـتّىٰ وحـالـك واحـدٌ في كـلّ حـال
فلا غيضـت بحارك يـا جمومـًا عـلىٰ عـلـل الـغـرائـب والـدّخـال
رأيـتـك في الـذيـن أرىٰ مـلـوكـًا كـأنّـك مسـتـقـيـمٌ في مـحـال
فـإن تـفـق الأنـام وأنـت مـنـهـم فـإنّ الـمسـك بـعـض دم الـغـزال

فالمتنبي يخاطب سيف الدولة ويحثه علىٰ التصبر بصبره الراسخ رسوخ الجبال ، وهو لا يحتاج إلىٰ التعزية لأنه يعلم الناس التصبر ويعلمهم خوض المنايا في الحروب العظيمة ، وهو ثابت لا يتغير مهما حلت به من أحوال وحوادث مختلفة ، فمن أجل ذلك كله يتوجه له بهذا الدعاء :

فلا غيضـت بحارك يـا جمومـًا علىٰ علـل الغرائـب والـدّخـال

فالحوادث والهموم لا تغير من صفو عطائه وكرمه ، فـ(الفاء) وفيها معنىٰ السببية ربطت معاقد الكلام ورتبت ما بعدها علىٰ ما قبلها وأظهرت أن توجه هذا الدعاء لسيف الدولة إنما كان لحديثه السابق عنه .

وفي الجملة الدعائية (فلا غيضت) معنىٰ جليل فكأن الممدوح يمتلك البحار حقيقة وهم المتنبي ليس إثبات ذلك بل همه الدعاء له بعدم نقصان هذه البحار، وبناء الفعل لما لم يسم فاعله فيه إشارة إلىٰ كثرة الماتحين وتعددهم فلا حصر لهم ، وهو لا يكتفي بالدعاء له بعدم النقصان بل يدلل علىٰ أن عطاءه لم ولن ينقص من خلال أمرين :

الأول : أنه لم يثبت له بحرا واحدا وإنما بحارا كثيرة وهذا ما يفيده جمع الكثرة (فعال) .

الثاني : في قوله (يا جموما) باستعارة (الجموم) لسيف الدولة وهو الذي يزداد ماؤه وقتًا بعد وقت والجم والجموم هو الكثير المجتمع من كل شيء[1] فكأنه يقول كيف يقل ماء بحاره وهو متجدد الماء ؟!

وجاء حرف الجر (علىٰ) وهو بمعنىٰ (مع)[2] في قوله (علىٰ عَلَلِ الغَرائبِ والدِّخالِ) ليبين أن عطاءه لن ينقص مع تكرار الشرب ، وورود الإبل الغريبة وكذلك الدخيلة ، فالعلل هو الشرب الثاني بعد النهل، والغرائب :الإبل الغريبة التي ترد علىٰ الحوض وليست لأهل الحوض .والدخال :أن يدخل بعير قد شرب بين بعيرين لم يشربا ليزداد شربًا[3] فعطاء الممدوح مع كل هذا لن ينقص ، وهذا كله من قبيل الاستعارة التمثيلية حيث شبه الممدوح الذي لا ينقص عطاؤه مهما كثر العفاة والسائلون بالبحر لا ينقص من مائه شيء مهما ورد عليه من الإبل الغريبة والدخيلة ووجه الشبه سعة العطاء وغزارته مع تجدده وعدم نقصانه .

فالبيت تصوير خلاب لكرم الممدوح ينضم إلىٰ سائر أبيات القصيدة التي اشتملت علىٰ أبيات سيارة هي مضرب المثل في الحسن والبلاغة والبراعة من مطلعها إلىٰ آخرها مثل قوله في المطلع :

نُـعِـدّ الـمَشـــرَفـيّـةَ والـعَـوالـي وتَـقْـتُـلُـنـا الـمَـنُـونُ بِـلا قِـتـالِ

---

(١) لسان العرب (جمم)

(٢)شرح البرقوقي ج ٣ ص ١٥١ .

(٣) السابق والصفحة .

وقوله :

ولو كان النّساء كمن فقدنا لفضّلت النّساء علىٰ الرّجال

وما التّأنيث لاسم الشّمس عيبٌ ولا التّذكير فخرٌ للهلال

وأفجع من فقدنا من وجدنا قبيل الفقد مفقود المثال

وقوله :

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإنّ المسك بعض دم الغزال[1]

فالقصيدة بما فيها البيت محل النقد بديعة من بدائع المتنبي ، وبيت المتنبي اشتمل علىٰ مبالغة عالية صيغت في عبارة لا غثاثة فيها بل توافر فيها كل صفات الحسن والجمال .

(١) ينظر : الديوان ص ٢٦٥ .

يقول المتنبي :

٥- ليس قوْلي في شـــمس فعلـك س ولكن كالشّـمسِ في الإشـراقِ[١]

هذا البيت من قصيدة يمدح فيها المتنبي أبا العشائر الحسن بن علي بن حمدان العدوي ومطلعها :

أتُـراهـا لـكَـثْـرَةِ الـعُشّـــاقِ تَحْسَبُ الدّمعَ خِلقَةً فى المآقى[٢]

معنى البيت :

إن قولي لا يبلغ فعل الممدوح في الشرف والرفعة، ولكنه يدل عليه، فهو بمنزلة الإشراق من الشمس.[٣]

نقد أبي هلال :

استشهد أبو هلال بالبيت السابق علىٰ أنه من عيوب المبالغة وذكر أن حقيقة معنىٰ البيت لا يوقف عليها .[٤]

البيت في التراث النقدي :

لم أقف علىٰ هذا البيت في كتب التراث النقدي ، فلم يتناوله بالنقد إلا أبو هلال – رحمه – .

رأي البحث :

ساق أبو هلال البيت السابق شاهدا علىٰ عيوب المبالغة ولم يوقفنا علىٰ هذا العيب وقد بدا متناقضا إذ ذكر أن حقيقة معنىٰ البيت لا يوقف عليها ، فكيف تفهم المبالغة طالما أن حقيقة المعنىٰ غائبة ؟!

---

(١)البيت في الصناعتين ص ٣٨٠ . وفي الديوان ص ٢٣٩ .

(٢) الديوان ص ٢٣٤ .

(٣) ينظر : شرح الواحدي . ج ٢ ص ١٠١٠ .

(٤)ينظر : الصناعتين ص ٣٨٠ .

والبحث يرىٰ أن البيت لا عيب فيه من قبل المبالغة ، ولا تعمية المعنىٰ ، فالمتنبي أراد أن يجمع بين مدح نفسه ومدح الممدوح فقال :

ليس قوْلي في شمس فعلك كالشّمـ ـسِ ولكن كالشّمسِ في الإشراقِ

فقد شبه المتنبي أفعال الممدوح بالشمس بجامع عموم النفع وقوة الانتشار ، ثم نفي المتنبي أن يكون شعره في مستوىٰ أفعال الممدوح بل هي من أفعال الممدوح كالإشراق من الشمس ، فلولا شعر المتنبي ما عرفت أفعال الممدوح كما أن الإشراق هو أظهر ما يدل علىٰ الشمس ، فمدائح المتنبي هي التي تدل علىٰ عطاء الممدوح وسعة كرمة ، وأرىٰ أن المتنبي عندما نفي المساواة بين شعره وأفعال الممدوح كان قاصدا أن يجعل شعره أعلىٰ وأفضل من فعال الممدوح ، فأفعاله وعطاياه لا يكتب لها الحياة والتأثير في النفوس إلا من خلال شعره هو ، وقد أكد علىٰ أهمية شعره في الأبيات التىٰ جاءت بعد هذا البيت ، يقول المتنبي :

شاعرُ المَجْدِ خِدْنُهُ شاعرُ اللّفْـ ظِ كِلانا رَبُّ المَعاني الدّقاقِ

لم تَزَلْ تَسـمَعُ المَديحَ ولكِنّ صَـهيلَ الجِيادِ غَيرُ النُّهاقِ[1]

فقد جعل المتنبي نفسه صديقا للممدوح الذي جعله شاعر المجد ، الذي يبدي فيه البدائع والغرائب، وجعل نفسه شاعر اللفظ ، فكل واحد منهما يبدع في فنه، ويغرب في شعره، ويأتي بدقائق المعاني التي يعجز عنها غيره، فالملوك عجزوا عن مجد الممدوح ، والشعراء عجزوا عن شعر المتنبي[2] ،

(١) الديوان ص ٢٣٩ .

(٢) ينظر : شرح الديوان . الواحدي . ج ٢ ص ١٠١٠ وما بعدها .

ثم فضل المتنبي شعره ومدحه فجعله صهيل الجياد في قوته وجماله وروعته، وجعل شعر غيره كنهيق الحمار نكارة وبشاعة وحقارة .

فالمتنبي مشغول بمدح شعره فإذا كانت أفعال الممدوح كالشمس ، فشعر المتنبي هو الذي يشرق شمسها ، فيذيعها ويدل عليها ، وهو رب الشعر والمعاني الدقيقة ، ونتيجة لذلك فشعره هو صهيل الجياد وشعر غيره هو نهيق الحمار ، فالبيت لا عيب فيه ولا تعمية بل هو واضح المعنىٰ مبتكر واقع موقعه .

يقول المتنبي :

٦- عَجِبَ الوُشـاةُ من اللُّحاةِ وَقوْلِهِمْ دَعْ مـا نَراكَ ضَــعُفْتَ عن إخفـائِهِ[١]

هذا البيت من قصيدة مطلعها :

ألقَلْـبُ أعلَمُ يـا عَـذُولُ بـدائِهِـة وَأحَقُّ مِنْـكَ بجَفْنِـهِ وبِمَـائِـهِ[٢]

معنى البيت :

الوشاة: جمع الواشي. واللحاة: جمع: اللاحي، وهو الذي يزجر ويغلظ القول في الملامة ، يقول: إن اللحاة قالوا لي: دع الذي نراك ضعيفًا عن إخفائه. أي دع هذا الهوىٰ، فعجب الوشاة من تكليف اللحاة إياي ما لا أطيق، فإني إذا ضعفت عن إخفاء الحب ، كنت علىٰ تركه والإفاقة من سكره أضعف.[٣]

نقد أبي هلال :

ذكر أبو هلال هذا البيت شاهدا علىٰ التصريع المعيب فقال : "ومن معيب هذا الباب – أيضا – قول بعض المتأخرين : عجب الوشاة من اللّحاة وقولهم ... دع ما نراك ضعفت عن إخفائه"[٤] ثم وسم البيت بأنه رديء لتعمية معناه.[٥]

---

(١)البيت في الصناعتين ص ٣٩٤، وفي ديوان المتنبي ص٣٥٠.

(٢) الديوان ص ٣٥٠.

(٣) شرح الديوان . أبو العلاء المعري ج ٣ ص ٣١٦ .

(٤)الصناعتين ص ٣٩٤ .

(٥) السابق والصفحة .

البيت في التراث النقدي :

لم أقف علىٰ هذا البيت في التراث النقدي .

رأي البحث :

استقر الدرس البلاغي علىٰ أن التصريع ، وهو جعل العروض مقفّاة تقفية الضرب فالتصريع: يكون بجعل الْعَرُوض (وهي آخر المصراع الأوّل من البيت) مقفّاةً تقفية الضَّرْب (وهو آخر المصراع الثاني من البيت) ومنه أغلب أوائل القصائد،[1] وهذا يخالف تعريف أبي هلال حيث ذكر أن التصريع هو أن يكون حشو البيت مسجوعا، وأصله من قولهم: رصّعت العقد، إذا فصّلته .

فبيت المتنبي لا عيب فيه من ناحية التصريع ، وكل ما نظر إليه أبوهلال هو السجع بين (الوشاة) و(اللحاة) ولا أدري كيف جعل هذا من معيب التصريع ؟! وقد أدرك أبو هلال أن القدح في البيت من خلال التصريع واهيا لا ينهض ، فعابه من ناحية المعنىٰ حيث ذكر أن البيت رديء لسوء معناه ، والبيت واضح المعنىٰ فلا لبس فيه ، فالمتنبي يريد أن يخبر أنه يعيش بين وشاة لا يرحمون وبين لحاة يطلبون ما لا يقدر عليه حتىٰ أن الوشاة مع شدة قسوتهم، وبغضهم للمتنبي وتربصهم به عجبوا من طلب اللحاة ؛ لأن اللحاة يطلبون ترك حبه وكيف يجيبهم لذلك وقد عجز عن إخفائه ؟! فأي عيب في هذا وأي تعمية في هذا المعنىٰ ؟! وأبو هلال عندما لا يجد ما يقدح به في شعر المتنبي يذكر تعمية المعنىٰ فهي التهمة الجاهزة ، وقد فاته – رحمه الله – أن

(١) ينظر : بغية الإيضاح ج٤ ص ٦٥٩ . و البلاغة العربية . د / عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني. ج٢ ص٥٠٨.

المعنىٰ إذا نيل بعد طلبه والتعب فيه يكون موقعه أعظم في النفس يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني :"ومن المركوز في الطبع أن الشيء إذا نيل بعد طلب له أو الاشتياق إليه ومعاناة الحنين نحوه، كان نيله أحلىٰ ، وبالميزة أولىٰ فكان موقعه من النفس أجل وألطف"[1]

ويؤكد الإمام علىٰ أن الشعر الرفيع يتطلب قدرا من الإيحاء والتأمل وسبر الأغوار فيقول : " فإنك تعلم علىٰ كل حال إن هذا الضرب من المعانىٰ، كالجوهر في الصدف لا يبرز لك إلا أن تشقه عنه ، وكالعزيز المحتجب لا يريك وجهه حتىٰ تستأذن عليه ، ثم ما كل فكر يهتدىٰ إلىٰ وجه الكشف عما اشتمل عليه ، ولا كل خاطر يؤذن له في الوصول إليه "[2]. فقد غاب عن أبي هلال هذه الرؤية النقدية الثاقبة والتفرقة بين تعقيد المعنىٰ و تعميته وبين المعنىٰ الموحي اللذيذ المحوج إلىٰ التفكر والتدبر وشق الأستار المغلفة للمعنىٰ بغشاء رقيق ، فينكشف للنفس هذا المعنىٰ مع إعمال الفكر وتقليب النظر، بعيدا عن التعقيد والتعمية .

وبيت المتنبي السابق من هذا النمط العالي من الشعر المحبب للنفس ؛ لأنه بعيد عن السطحية والابتذال وكذا بعيد عن التعمية والإلغاز .

(١) أسرار البلاغة . الإمام عبد القاهر الجرجاني . ص ١٣٩ .

(٢) السابق ص ١٤١ .

يقول المتنبي :

٨- نَهَبتَ مِنَ الأَعمارِ ما لَو حَوَيتَهُ لَهُنِّئَتِ الدُنيا بِأَنَّكَ خالِد[١]

هذا البيت من قصيدة يمدح المتنبي فيها سيف الدولة ومطلعها :

عواذل ذات الخال في حواسدُ وإن ضجيع الخودِ مني لماجدُ[٢]

معنى البيت :

يقول المتنبي : نهبت من أعمار الروم بقتلك لهم، وأفنيت منهم بوقائعك فيهم، ما لو حويته لنفسك، ووصلته بعمرك، لهنئت الدنيا بخلودك، ومتعت آخر الأبد ببقائك[٣].

نقد أبي هلال :

ذكر أبو هلال هذا البيت شاهدا علىٰ ما سماه المضاعفة ، والتي عرفها بأنها تضمين الكلام معنيين : معنىٰ مصرّح به ومعنىٰ كالمشار إليه ومثل لها من المنظوم بقول الأخطل:

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم قالوا لأمهم بولىٰ علىٰ النّار.

فأخبر عن إطفاء النار، فدل به علىٰ بخلهم، وأشار إلىٰ مهانتهم، ومهانة أمهم عندهم.ثم مثل لها ببيت المتنبي فقال : ومن ذلك قول الآخر :

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم قالوا لأمهم بولىٰ علىٰ النّار[٤]

---

(١)البيت في الصناعتين ص ٤٤٢ . وفي ديوان المتنبي ٣٢١.

(٢) الديوان . ص ٣١٨.

(٣) ينظر:شَرْح شِعْر المُتَنبي . ابن الإفليلي . ج١ ص٣٨٧ .

(٤) الصناعتين ص ٤٤١ وما بعدها . والبيت في ديوان الأخطل . ص ٤٢٠ تح . د / فخرالدين قباوة .دار الفكر . بيروت . ط . الرابعة . ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦م .

ولم يزد علىٰ ذلك فأبو هلال يمثل ببيت المتنبي علىٰ المضاعفة ، وهو يستحسن البيت إلا أنه لم يبين ذلك ولم يتحدث عن المعنىٰ ويوضحه حتىٰ أنه كعادته لا يصرح بذكر المتنبي بل يقول : قال الآخر . وهذا أول بيت يستحسنه أو بعبارة أدق لم يمثل به في معرض القدح والاستهجان .

البيت في التراث النقدي :

تنوعت نظرة العلماء لهذا البيت ، فالقاضي الجرجاني ذكره في معرض الرد علىٰ من يسيئون للمتنبي ولا يرون في شعره إلا المعايب بل لا يرونه شاعرا أصلا ، فقال موجها كلامه لهم : "وكيف أسقطته عن طبقات الفحول وأخرجتَه من ديوان المحسنين لهذه الأبيات التي أنكرتَها، ولم تسلّم له قصب السّبْق ونصال النضال، وتُعَنْون باسمه صحيفة الاختيار لقوله:....."[1] وذكر كثيرا من مختارات المتنبي الشعرية ومنها هذا البيت .

وقال الثعالبي عن هذا البيت وغيره : "ومن وسائط قلائده، وأبيات قصائده، وإعجاز فرائده قوله لسيف الدولة ...."[2] وذكر أبياتا منها هذا البيت، وذكره في اليتيمة في ما سماه المدح الموجه ؛ لأنه كالثوب له وجهان ما منهما إلا حسن[3]

وذكر العميدي أن بيت المتنبي مسروق من قول أبي راسب :

ولو كنت تحوىٰ عمر من قد نهبته بسـيفك في الدنيا لكنت مخلّدا[4]

---

(١) الوساطة ص ١٠١ وما بعدها .

(٢) الإعجاز والإيجاز. أبو منصور الثعالبي . ص ١٨٦ . مكتبة القرآن – القاهرة .

(٣) يتيمة الدهر ج ١ ص ٥٧ .

(٤)الإبانة عن سرقات المتنبي . العميدي . ص ٨٩.

فالعميدي يسلم بسلامة البيت إلا أنه يتهم المتنبي بسرقته ويبدو تأثر المتنبي لفظا ومعنىٰ بقول أبي راسب .

وابن سنان الخفاجي يرىٰ في بيت المتنبي حشوا مفيدا ، ويذكر أن قوله: "لهنئت الدنيا" بمنزلة الحشو إذ كان المعنىٰ يتم من دونه ولو استوىٰ له أن يقول نهبت من الأعمار ما لو حويته لخلدت في الدنيا لكان المعنىٰ مستقيما لكنه لما احتاج إلىٰ ألفاظ يصح بها الوزن جاء بقوله لهنئت الدنيا فأتىٰ بزيادة من المدح وفضلة من التقريظ والوصف.[1] والبيت لا حشو فيه وكل كلمة قارة في موضعها .

وجعل الإمام السكاكي بيت المتنبي شاهدا علىٰ لون من البديع المعنوي هو الاستتباع فقال : "ومنه أي – البديع المعنوىٰ – الاستتباع ، وهو المدح بشيء علىٰ وجه يستتبع مدحا آخر كقوله:

نهبت من الأعمار ما لم حويته لهنئت الدنيا بأنك خالد

ألا تراه كيف مدحه بالشجاعة علىٰ وجه استتبع مدحه بكمال السخاء وجلال القدر من وجه آخر ويوضح لك ما ذكرت إذا قسته علىٰ قولك نهبت من الأعمار ما لو اجتمع لك لبقيت مخلدا"[2]

وبين صاحب عروس الأفراح بلاغة البيت فذكر أن المتنبي مدح سيف الدولة بالنهاية في الشجاعة علىٰ وجه وهو نهب أعمار هذا الجم الغفير،

(١) ينظر : سر الفصاحة ص ١٤٦ وما بعدها .

(٢)مفتاح العلوم. أبو يعقوب يوسف السكاكي . ص ٤٢٨ . ت . أ/ نعيم زرزور. دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان . ط. الثانية، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

فاستتبع ذلك مدحه بكونه سببا لصلاح الدنيا ونظامها، فإن ذلك مفهوم من تهنئة الدنيا بخلوده ، فهو لم يكن ظالما ، ويذكر الإمام السبكي أن قول المتنبي : " لهنئت الدنيا بأنك خالد " فيه مبالغة فإن أعمار المقتولين – وإن تكاثرت – متناهية ، والتناهىٰ لا يجامع الخلود الذىٰ لا نهاية له ، إلا أن يريد بالخلود المكث الطويل "[1]

رأي البحث :

هذا البيت جاء شاهدا في كتب التراث البلاغي علىٰ لون من البديع المعنوي اختلفت تسميته ، فهو عند أبي هلال مضاعفة وعند الثعالبي توجيه وعند السكاكي ومدرسة الخطيب استتباع ولعل أبا هلال قصد بالمضاعفة أن معاني المدح في حكم المكرر فالمتنبي مدح سيف الدولة بالشجاعة والإقدام وأنه موت علىٰ أعدائه ثم بين أن هذا القتل كان فيه صلاح الدنيا فلم يفعل ذلك تعديا ولا تجبرا بل العدل هو الذي قاده لذلك ، فمدحه مرة بالشجاعة وأخرىٰ بالصلاح .

وجاء البيت في مجمله شائقا رائقا قد تكاملت له كل أسباب الجمال والإبداع ، فهو في سياق القصيدة يؤدي دوره الدلالي ويتناغم مع كل مكونات القصيدة في بيان التجربة الشعرية التي امتلأت بحب سيف الدولة

(١)عروس الأفراح ج ٢ ص ٢٧٤.

يقول المتنبي :

ومن شرف الإقدام أنك فيهم ... علىٰ القتل مموق كأنك شاكد

وإن دمًا أجريته بك فاخر ... وأن فؤاداً رعتهُ لك حامدُ

وكل يرىٰ طرق الشجاعة والندىٰ ... ولكن طبع النفس للنفس قائدُ

نهبت من الأعمار ما لو حويته ... لهنئت الدنيا بأنك خالدُ

فأنت حسام الملك والله ضاربٌ ... وأنت لواء الدين والله عاقدُ[1]

إن المتنبي بنىٰ صورته لسيف الدولة علىٰ المتناقضات ، وكأن سيف الدولة غير خاضع لحكم العقل والمنطق ، فالروم يشرفون بإقدامه عليهم ، وهو علىٰ قتله لهم محبوب حتىٰ كأنه يعطيهم لا يقتلهم .

ثم أكد ذلك المعنىٰ الغريب فذكر أن هذا الدم المسفوح يفخر به ؛ لأن سفكه كان علىٰ يديه كما أن الأفئدة التىٰ خوفها تتوجه له بالحمد والشكر ، وطرق الشجاعة والكرم لا تخفي علىٰ أحد ، لكن الطبع هو الذي يأخذ ويقود صاحبه إليها ، ولذلك فطبع سيف الدولة قاده لقتل أعدائه ونهب أعمارهم ، حتىٰ صلح حال البلاد والعباد وهنئت الدنيا بأسرها علىٰ خلود سيف الدولة، ولم لا يكون هناك التهاني وسيف الدولة سيف الملك ، وهو ملك بني العباس لكن الله تعالىٰ يضرب به أي ينصره ويسلطه علىٰ الأعداء، وهو لواء الدين الذي يظهر شعاره ويدعو الناس إليه، والله يعقد هذا اللواء؛ لأن ما يعقده الله لا يقدر أحد علىٰ حله.[2]

---

(١) الديوان ص ٣٢٠ وما بعدها .

(٢) ينظر : شرح الديوان . المعري ج٣ ص٢١٣ .

فالمتنبي راغب في سيف الدولة فرسم له صورة لم ترسم لأحد من قبله، وجاء البيت محل الشاهد في أعلىٰ درجات البيان فالتعبير بالفعل (نهب) يدل علىٰ قوة واقتداروكأنه يتحدث عن وحش كاسر لا يبقي ولا يذر ، وهو لا ينهب أموالا بل أعمارا ، وهذا من باب الاستعارة حيث شبهت الأعمار بشيء مادي محسوس ينهب ويؤخذ ، وقد أفادت الاستعارة التجسيد وأظهرت المعنىٰ في صورة مرئية وهذا أبلغ في التأثير ، ولأن سلب الأعمار كان فيه صلاح الدنيا كل الدنيا جاء بناء الفعل (هنئت) للمجهول ؛ لأن المتنبي أراد أن يجعل كل ما في الدنيا من بشر وطير وحيوان وزهر وشجروغيره قام مهنئا للدنيا علىٰ خلود سيف الدولة لأن الله سيصلح به حال البلاد والعباد وفي التعبير (هنئت الدنيا) تصوير استعاري أفاد التشخيص وخلع علىٰ الدنيا صفة من صفات الأناسي جعلت الدنيا أميرا يتلقىٰ التهاني ، ومن أجل تلك المبالغة الرائعة أنصف ابن جني في قوله عن هذا البيت : " لو لم يمدح أبو الطيب سيف الدولة إلا بهذا البيت وحده لكان قد بنىٰ له ما لا يخلقه الزمان"[1] فالبيت مع أنه في قمة الإبداع اكتفي أبو هلال بالاستشهاد به فقط حتىٰ أنه لم ينسبه إلىٰ صاحبه

(١) شرح الديوان . ابن جني ج ١ ص ٨١٢ .

الفصل الثالث:

نقدات أبي هلال لمطالع أبي الطيب .

تمهيد : المطلع فائدة وقيمةُ :

من سنن العرب في كلامها أنها " تَبْتَدِئ الشيءَ من كلامها يُبَيِّنُ أَوَّلُ لفظها فيه عن آخره وتبتدئ الشيء يبين آخر لفظِها منه عن أَوَّلِهِ"[1] والمطلع أول دفقة شعورية في بحر القصيدة النابع من حنايا المبدع وبقدر إجادة الشاعر لمطلعه وقوة ملاحظته لكافة كلماته وتعبيراته ، وقدرته علىٰ تكثيف دلالاته المناسبة والمهيئة لأغراض القصيدة تكون قوة إصغاء المتلقي وحسن تلقيه لبقية أبيات القصيدة ، فالمطلع أشبه بطاقة نور تطلع بخيوطها الذهبية علىٰ أجزاء القصيدة فتضيء وتنير خبايا التحربة الشعرية المستترة وراء مكنونات المعاني ؛ وهذا يفسر اهتمام العلماء بالمطلع وبيان الأسباب والعوامل التي قد تقود إلىٰ الحكم بجودته أو رداءته بل إنهم جعلوا المطلع من مواضع التأنق في الكلام فالجاحظ(ت ٢٥٥هـ) يبين أهمية البدء القولي فيقول : "فإنه لا خير في كلام لا يدل علىٰ معناك ولا يشير الىٰ مغزاك والىٰ العمود الذي إليه قصدت والغرض الذي إليه نزعت "[2] و القاضي الجرجاني (ت ٣٩٢هـ) يذكر أن "الشاعر الحاذق يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص وبعدهما الخاتمة ؛ فإنها المواقف التي تستعْطِف أسماعَ الحضور،

(١)الرسالة . الشافعي .ص ٥٠ ت . الشيخ / أحمد شاكر . مكتبه الحلبي . مصر . ط . الأولىٰ ١٣٥٨هـ/ ١٩٤٠م .

(٢) البيان والتبين للحاحظ، جـ١ ص ١١٦ ت، أ/ عبدالسلام هارون . مكتبة الخانجي . القاهرة . ط السابعة ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

وتستميلهم الىٰ الأصغاء"[1]. ويبين حازم القُرطاجني(ت ٦٨٤هـ) أهمية مطالع الأبيات فيقول :" إنها – أي المطالع – أول ما يقرع السمع فهي رائد ما بعدها إلىٰ القلب ، فإذا قبلتها النفس تحركت لقبول ما بعدها، وإن لم تقبلها كانت خليقة أن تنقبض عما بعدها وعلىٰ نحو ما يشترط فيها من جهة المسموع يشترط فيها من جهة المفهوم. فإن النفس تكون مترقبة لما يرد عليها في استئناف كل فيقبضها ما تستقبله من كراهة المسموع أو المفهوم أولا عن كثير من نشاطها بما يرد بعد. ويحسن ألا تتكرر الألفاظ الواقعة في المطالع علىٰ قرب ما أمكنت المندوحة عن ذلك"[2]

والقُرطاجني في سبيل بيان أسباب الإجادة في المطلع يلاحظ كل مكوناته: اللفظ والمعنىٰ والصوت والسياق فيذكر أن الألفاظ يجب أن تكون حسنة جزلة ، وأن يكون المعنىٰ شريفا تاما ، وأن تكون الدلالة علىٰ المعنىٰ واضحة، وأن تكون الألفاظ الواقعة فيه لاسيما الأولىٰ والواقعة في مقطع المصراع مستحسنة غير كريهة من جهة مسموعها ومفهومها. فإن النفس تكون متطلعة لما يستفتح لها الكلام به. فهي تنبسط لاستقبالها الحسن أولا، وتنقبض لاستقبالها القبيح أولا أيضا ويبين القرطاجني دور التصريع في إحداث الانسجام الموسيقي داخل المطلع فيكون أوقع في الأذن وأجمع في القلب ، وأهش للنفس فيذكر أن الكلمة الواقعة في مقطع

(١)الوساطة ص ٤٨ .

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء . حازم القرطاجني . ص٢٥٣ وما بعدها . ت. د/ محمد الحبيب ابن الخوجة .الدار العربية للكتاب .تونس . ط الثالثة

المصراع يجب أن تكون مختارة متمكنة حسنة الدلالة علىٰ المعنىٰ تابعة له، ويحسن أن يكون مقطعها مماثلا لمقطع الكلمة التي في القافية ؛ فإن للتصريع في أوائل القصائد طلاوة وموقعا من النفس لاستدلالها به علىٰ قافية القصيدة قبل الانتهاء إليها، ولمناسبة تحصل لها بازدواج صيغتي العروض والضرب وتماثل مقطعها لا تحصل لها دون ذلك و مفتتح المصراع يجب أن يكون دالا علىٰ غرض القصيدة ، وأن يكون مع ذلك عذب المسموع ، ولا يكون ذلك مما تردد علىٰ ألسنة الشعراء في المطالع حتىٰ أخلق وذهبت طلاوته كلفظة خليلي، أو مما اختص به شاعر ولم يتعرض أحد لأخذه منه، ويستحسن أن يقدم في صدر المصراع ما يكون لطيفا محركا بالنسبة إلىٰ غرض الكلام كالمناجاة والتذكر في النسيب وما جرىٰ مجراهما ، وإن قرن ذلك بمعنىٰ من المعاني التي هي أحوال تعتري الإنسان كالتعجب والتشكك[1].

واستقرت مدرسة الخطيب(ت ٧٣٩هـ) علىٰ أهمية المطلع كلون بديعي له خطره وأطلقوا علىٰ حسن الابتداء وجمال المطلع براعة الاستهلال يقول الخطيب :"ينبغىٰ للمتكلّم أن يتأنّق في ثلاثة مواضع من كلامه؛ حتىٰ يكون أعذب لفظا، وأحسن سبكا، وأصحّ معنىٰ أولها: الابتداء"[2] وأحسن الابتداءات عنده ما ناسب المقصود ويسمىٰ براعة

(١) ينظر : منهاج البلغاء وسراج الأدباء . حازم القرطاجني . ص٢٥٣.

(٢) الإيضاح . الخطيب القزويني . ج٢ ص ٤٣٩..

الاستهلال [1] وإنما كان الابتداء من مواضع التأنق لأن:" حسن الافتتاح داعية الانشراح، ومطية النجاح "[2] وهو محط شوق النفوس كمايقول بهاء الدين السبكي (ت ٧٧٣هـ)صاحب العروس[3] ، وهي كلمة حية رقيقة شاعرة جامعة لكل شرط يجب أن يتوفر في المطلع ؛ فيجذب نفس المتلقي إليه ويذكر العصام(ت٩٤٥هـ) سببا آخر من أسباب لزوم التأنق في الابتداء، له خلابته ووجاهته وهو "أن أشد ما يعاب علىٰ الصانع أن يقصر في أول فعله، لأنه يدل علىٰ كمال ضعفه، لأن كمال القوة وشهرة العقل في أول الأمر، فإذا توانىٰ فيه يتنفر عنه المخاطب في الغاية، ويحتقره " [4].

وقد توسع العصام في توضيح المعايير والمقاييس التي يجب توافرها في المطلع حتىٰ يوسم بالحسن والبراعة ، فذكر أن المطلع يجب أن يكون في غاية البعد من التنافر والثقل، والغرابة ومخالفة القياس ، والتعقيد وضعف التأليف حتىٰ تكون الألفاظ متقاربة في الجزالة والمتانة، والرقة والسلاسة، ويجب أن تكون المعاني متناسبة بألفاظها ، من غير أن يكسىٰ اللفظ الشريف المعنىٰ السخيف، أو علىٰ العكس مثلا، بل يصاغان صياغة تناسب وتلائم ويجب أن يسلم المطلع من كونه متكلفا تابعا لألفاظ ركيكة وغير متناسبة ، ومما يجب المحافظة عليه في المطلع استعمال الألفاظ الرفيعة في ذكر

(١) الإيضاح ج٢ص٤٤١ .

(٢)العمدة في محاسن الشعر وآدابه. ابن رشيق القيرواني . ج١ ص ٢١٧ .

(٣)ينظر : عروس الأفراح. ج ٢ ص ٣٤٠.

(٤)الأطول . العصام . ج٢ ص ٥٢٣ .

الأشـواق ووصـف أيـام البعـاد ، وفي اسـتجلاب المودات وملاءمـات الاسـتعطاف وأمثال ذلك ، ومن موجبات حسـن الابتداء إيراد ما يتفاءل به وأن يكون فيه إشـارة إلىٰ ما سـيق الكلام لأجله، فيكون المبدأ مشـعرا بالمقصـود[1] فالعصـام يبين خصـائص المطلع اللفظية والمعنوية ولا يغفل علاقة المطلع بمعاني القصيدة ومقاصدها .

ولا تختلف نظرة النقـد الحـديـث إلىٰ المطلع مع تلـك النظرة التراثيـة فالنقد الحديث يؤكد علىٰ أن المطلع من أهم عناصـر العمل الفني في أي نص إبداعي وأنه لا يمكن الوقوف كليا علىٰ خصائص العمل الفني وقيمته إلا من خلال المعرفة الدقيقة لأجزاء ذلك العمل وعناصـره ، والاسـتهلال من أهم هذه العناصر إن لم يكن المفتاحَ لها كلها والمطالع بالنسبة للمبدع بمثابة الرحم الذي تتوالد فيه معاني النص، ومحاولة الوصـول إليها تشـبه لحظة المخاض بكل ما تحمله هذه اللحظة من قلق وتوتر، يعانيه المبدع حتىٰ يصـل عمله الأدبي إلىٰ لحظة الميلاد .ومطالع الكلام من جهة أخرىٰ أول ما يصـل إلىٰ أذن السـامع وتقع عليه عين القارئ إذ إنها بمثابة المفتاح الـذي يلج بـه إلىٰ عوالم النص، فينفتح من خلالهـا علىٰ آفـاقـه الرحبـة، ويسهل له سبر أغواره، وفهم مراميه [2]

(١) ينظر : الأطول . العصام ج ٢ ص ٥٢٣ وما بعدها .

(٢) ينظر : الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي. د/ يس نصير. ص ١٣ . دار نينوىٰ. دمشق . ونظرية البلاغة العربية، دراسة في الأصول المعرفية . د/ أحمد سعد محمد. ص .١٧٤مكتبة الآداب، القاهرة. مصر. ط أولىٰ . ٢٠٠٩م .

إذن تنبه البلاغيون في القديم والحديث لأهمية المطلع وذكروا دواعي هذه الأهمية ووضعوا مقاييس لفظية ومعنوية وصوتية يجب أن تتوافر في المطلع حتىٰ يحكم له بالحسن .

أبوهلال ومطالع المتنبي :

تحدث أبوهلال العسكري عن ابتداءات المتنبي في معرض حديثه عن ذكر مبادىء الكلام ومقاطعه وينقل قول بعض الكتّاب: أحسنوا معاشر الكتّاب الابتداءات فإنهن دلائل البيان، ويبين أبوهلال ما ينبغي علىٰ الشاعر الالتزام به في مطالعه فالشاعر عليه أن يحترز في أشعاره، ومفتتح أقواله؛ مما يتطيّر منه، ويستجفي من الكلام والمخاطبة والبكاء ووصف إقفار الديار وتشتيت الألّاف ونعىٰ الشباب وذمّ الزمان ؛ لا سيّما في القصائد التىٰ تتضمن المدائح والتهانىٰ. ويستعمل ذلك في المراثىٰ، ووصف الخطوب الحادثة؛ فإن الكلام إذا كان مؤسسا علىٰ هذا المثال تطيّر منه سامعه، [1] .ويجعل من دلائل حسن الكلام جودة المطلع يقول أبو هلال : " الكلام أيدك الله يحسن بسلاسته، وسهولته، ونصاعته، وتخيّر لفظه وإصابة معناه، وجودة مطالعه، ولين مقاطعه، ....."[2] ويقول : "وسئل بعضهم عن أحذق الشعراء، فقال: من يتفقد الابتداء والمقطع"[3]

فأبوهلال يدرك أهمية المطلع ويذكر أمثلة كثيرة لما استحسنه من ابتداءات الشعراء إلا أنه لم يعلل لأحكامه وهو في نقده لمطالع المتنبي لم

(١) الصناعتين. ص ٢٨٩ .

(٢) السابق ص ٦١.

(٣) السابق ص ٤٥٤.

يتجاوز الحكم لهذا المطلع بالجودة أو الحكم علي غيره بالقبح ، دون بيان سبب الإجادة ولا سبب القبح .

ومع أن مطالع المتنبي أهم ما يميز شعره ، حتىٰ قال ابن رشيق : "وهذا النوع أعني جودة الابتداء من أجل محاسن أبي الطيب، وأشرف مآثر شعره إذا ذكر الشعر."[1] إلا أن أباهلال لم ير فيها إلا ابتداءات المصائب، وفراق الحبائب وفي الصفحات التالية يبين البحث الموقف النقدي لأبي هلال من مطالع المتنبي :

موقف أبي هلال النقدي من مطالع المتنبي :

أجمل أبوهلال الحديث عن مطالع المتنبي فقال :

"وقد استحسن لبعض المتأخرين ابتداؤه :

أَريقُكِ أَم ماءُ الغَمامَةِ أَم خَمرُ بِفِيَّ بَرودٌ وَهوَ في كَبِدي جَمرُ[2]

وله بعد ذلك ابتداءات المصائب، وفراق الحبائب، منها قوله :

كُفّي أَراني وَيكِ لَومَكِ أَلوَم هَمٌّ أَقامَ عَلىٰ فُؤادٍ أَنجَما[3]

وقوله :

أَبا عَبدِ الإِلَهِ مُعاذُ إِنّي خَفِيٌّ عَنكَ في الهَيجا مَقامي[4]

وقوله :

هَذي بَرَزتِ لَنا فَهُجتِ رَسيسا ثُمَّ اِنثَنَيتِ وَما شَفَيتِ نَسيسا[5]

---

(١)العمدة ج ١ ص ٢٢٢.

(٢)البيت في الصناعتين ص ٤١٣و٤٥٥، وفي ديوان المتنبي ص٦٢.

(٣)البيت في الصناعتين ص ٤٥٥، وفي ديوان المتنبي ص١٥.

(٤)البيت في الصناعتين ص ٤٥٥، وفي ديوان المتنبي ص ٥١.

(٥)البيت في الصناعتين ص ٤٥٥، وفي ديوان المتنبي ص٥٨.

وقوله :

جَلَلاً كَما بِيَ فَليَكُ التَبريحُ أغِذاءُ ذا الرَشَأِ الأَغَنِّ الشيحُ[1]

وقوله :

أُحادٌ أَم سُداسٌ في أُحاد لُيَيلَتُناالمَنوطَةُ بِالتَناد[2]

لِجِنِّيَّةٍ أَم غادَةٍ رُفِعَ السَجفُ لِوَحشِيَّةٍ لا ما لِوَحشِيَّةٍ شَنفُ[3]

وقوله :

بَقائي شاءَ لَيسَ هُمُ اِرتِحالا وَحُسنَ الصَبرِ زَمّوا لا الجِمالا[4]

وقوله :

في الخَدِّ أَن عَزَمَ الخَليطُ رَحيلاً مَطَرٌ تَزيدُ بِهِ الخُدُودُ مُحولا[5]

نُهَنَّئ بصُورٍ أمْ نُهَنّئُهَا بِكَا وقَلّ الذي صُورٌ وأنْتَ لَهُ لَكَا[6]

وقوله :

عَذيري مِن عَذارىٰ مِن أُمور سَكَنَّ جَوانِحي بَدَلَ الخُدورِ[7]

(١)البيت في الصناعتين ص ٤٥٦، وفي ديوان المتنبي ص٦٦.

(٢)البيت في الصناعتين ص ٤٥٦، وفي ديوان المتنبي ص ٨٥.

(٣)البيت في الصناعتين ص ٤٥٦، وفي ديوان المتنبي ص ١٠٥.

(٤)البيت في الصناعتين ص ٤٥٦، وفي ديوان المتنبي ص ١٣٩.

(٥)البيت في الصناعتين ص ٤٥٦، وفي ديوان المتنبي ص١٤٤.

(٦)البيت في الصناعتين ص ٤٥٦، وفي ديوان المتنبي ص١٤٨.

(٧)البيت في الصناعتين ص ٤٥٦، وفي ديوان المتنبي ص١٦٨.

وقوله :

سِــربٌ مَحاسِــنُهُ حُرِمتُ ذَواتِها داني الصِفاتِ بَعيدُ مَوصوفاتِها[1]

وقوله :

أَنا لائِمي إِن كُنتُ وَقتَ اللَوائِمِ عَلِمتُ بِما بي بَينَ تِلكَ المَعالِمِ[2]

وقوله :

وَوَقتٍ وَفي بِالدَهرِ لي عِندَ واحِدٍ وَفي لي بِأَهلِيهِ وَزادَ كَثيرا[3]

وقوله :

شَديدُ البُعدِ مِن شُربِ الشُمولِ. تُرُنجُ الهِندِ أَو طَلعُ النَخيلِ[4]

وقوله :

أَراعَ كَذا كُلَّ الأَنام هُمامُ وَسَحَّ لَهُ رُسلَ المُلوكِ غَمامُ[5]

وقوله :

أوهٍ بديلٌ من قولتي واهَا لمنْ نأتْ والبديلُ ذكرَاهَا[6]

فهذه وما شاكلها ابتداءات لا خلاق لها"[7]

وفي الصفحات التالية نظرة تفصيلية لهذه المطالع :

---

(١)البيت في الصناعتين ص ٤٥٦، وفي ديوان المتنبي ص ١٨٥.

(٢)البيت في الصناعتين ص ٤٥٦، وفي ديوان المتنبي ص٢٠٩.

(٣)البيت في الصناعتين ص ٤٥٧، وفي ديوان المتنبي ص ٢١٥.

(٤)البيت في الصناعتين ص ٤٥٧، وفي ديوان المتنبي ص ٣٤٣.

(٥)البيت في الصناعتين ص ٤٥٧، وفي ديوان المتنبي ص ٣٩٠.

(٦)البيت في الصناعتين ص ٤٥٧، وفي ديوان المتنبي ص ٥٣٧ .

(٧) الصناعتين ص ٤٥٦ وما بعدها .

يقول المتنبي :

١- أَريقُكِ أَم ماءُ الغَمامَةِ أَم بِفِيَّ بَرودٌ وَهوَ في كَبِدي جَمرُ؟[١]

وهذا البيت مطلع قصيدة يمدح فيها المتنبي عبدالله بن يحيىٰ البحتري .

معنى البيت :

يقول شككت فيما ذقته من فمك فلست أدري أريق هو أم ماء سحاب أم خمر وهو بارد في فمي حارٌّ في كبدي لأنه يحرك الحب ويذكي جمر الهوىٰ[٢]

والبيت استحسنه أبوهلال واستشهد به – أيضا – في باب تجاهل العارف ومزج الشك باليقين[٣]

البيت في التراث النقدي :

ذكر ابن وكيع أن تشبيه الريق بالغمام أو الخمر فمن قول امرئ القيس:

كأنَّ المُدامَ وصوبَ الغمام وريحِ الخُزامي ونشر القُطرْ

يُعلُ به بَرْد أنيابها إذا طرّبَ الطائرُ المُستحرْ

وعجز البيت فمن قول أشجع:

وسَقاك مِن حَر الهو ىٰ بَردُ المفلجة العذابِ[٤]

فهو يتهم المتنبي بسرقة المعنىٰ من امريء القيس وأشجع

---

(١)البيت في الصناعتين ص ٤١٣و٤٥٥، وفي ديوان المتنبي ص٦٢.

(٢)شرح الديوان . الواحدي . ج ١ ص ٣٥٠.

(٣) ينظر : الصناعتين ص ٤١٣ .

(٤) المنصف ص ٣٩٨ .

واستحسن ابن رشيق مطلع المتنبي السابق [1] واستحسنه يوسف البديعي في جملة من المطالع قال عنها : "ومن ابتداءاته التي تسكر العقول، وتفعل فعل الشمول" [2]

وجعله الشيخ عبدالمتعال الصعيدي من الابتداءات المختارة[3]

رأي البحث :

استحسان أبي هلال وغيره من العلماء لهذا المطلع واقع موقعه ، فقد بني المتنبي البيت علىٰ الاستفهام عن ريق محبوبته وبيان كنهه وهو يعلم حاله لكنه تجاهل ذلك مبالغة منه وتعجبا من حلاوة هذا الريق والترقىٰ في تشبيهه فشبهه مرة بماء الغمام رقة وعذوبة ثم شك فشبهه بالخمر حلاوة ولذة وقوة تأثير وابن جني يقرر أن مذهب الشعراء في الغزل أن يُظهروا شكا وتخالجُا ليُرُوا قوة الشبه واستحكام الشبهة ولا يقطعوا قطع اليقين البتة فينسبوا بذلك إلىٰ الإفراط وغلو الاشتطاط وإن كانوا هم ومن بحضرتهم ومن يقرأ من بعدُ أشعارهم يعلمون أن لا حيرة هناك ولا شبهة [4]

وهذا الريق الحلو الشهي العذب في فمه بارد ، لكنه جمر في كبده ، لشدة تأثيره وقوة حرارته وإلهاب وتهييج مشاعره ، فهذا التقابل أكسب المعنىٰ جدة وطرافة ، وجاء التصريع فأضفي علىٰ موسيقا النّصّ إيقاعـًا جميلاً، وزاد

---

(١) العمدة . ج٢ ص٦٨

(٢)الصبح المنبي يوسف البديعي ١٠٧٣ ج ٢ ص١٨ .

(٣) بغية الإيضاح ج ٤ ص ٧٠٦ .

(٤)ينظر : الخصائص ج ٢ ص٤٥٩ .

من التناغم وإنسيابية المعنىٰ الجناس غير التام بين (خمر) و(جمر) فالمتنبي له قدرة فائقة علىٰ الانتقال بين الأضداد وكأنه يداعب النفس عندما ينقلها من دنيا الخمر واللهو واللذة والمجون إلىٰ دنيا اللهب والحرارة والجمر وكل ذلك بسبب نقطة تأرجحت بين علو وسفل .

والمطلع في جملته تقليدي فقصيدة المديح كثيرا ما بدئت بالغزل استمالة للنفس وإصغاء للقلب ، ولعل المتنبي أصاب خيرا من هذا الممدوح فانعكس هذا علىٰ المعاني والصور الخلابة التي رسمها لمحبوبته ، فريقها في عذوبة وحلاوة ماء الغمام والخمر ، وهو من شدة وقوة إلهابه جمر في كبده ، ومحبوبته لا يراها العواذل إلا شمسا مع أن الفجر لم يطلع :

رَأَت وَجهَ مَن أَهوىٰ بِلَيلٍ عَواذِلي فَقُلنَ نَرىٰ شَمسًا وَما طَلَعَ الفَجرُ

وسحر عينيها من شدة جماله ما هو إلا سيوف قاتلات :

رَأَينَ الَّتي لِلسِحرِ في لَحَظاتِها سُيوفٌ ظُباها مِن دَمي أَبَداً حُمرُ

وقد تلاقت كل هذه المعاني مع ما ذكره من أوصاف الممدوح ، وكأن المتنبي يمهد بهذه المقدمة لغرضه الأصلي فما الريق والشمس وجمال العينين إلا رؤيته الذاتية تجاه ممدوحه ، و العواذل ما هم إلا أعداء الممدوح وحسدته .

وإذا كانت المحبوبة برد في فم المتنبي وجمر في كبده فكذا الممدوح هلاك علىٰ أعدائه صاحب نجدة وقوة حتىٰ إنه يجعل الليث طعمة لسيفة وهو – أيضا – مع أحبابه كريم في كرمه كالبحر بل إن بحر كرمه وسعة جوده يغرق فيه البحر الحقيقي يقول المتنبي :

إلىٰ ليث حربٍ يلحم الليث سيفه وبحر ندىٰ في موجه يغرق البحر

وإذا كانت المحبوبة شمسا فإن الممدوح تخر لبهائه وجماله النجوم ، ويكسف له البدر

متىٰ ما يشــر نحو الســماء بوجهه تخر له الشـعري وينكسـف البدر

فأبوهلال في استحسانه لهذا المطلع كان صائبا فقد توافر له كل أسباب الحسن والجمال، وقد تلاقىٰ المطلع الغزلي مع المعاني التي كساها المتنبي لممدوحه ، فالمطلع يتناسب مع غرض القصيدة ويعد تمهيدا مناسبا والشاعر المجيد " قبل أن يبدأ في إنشاء القصيدة تكون قد تجمعت في نفسه كل المشاعر والانفعالات المرتبطة بالموضوع وحين يبدأ في الإنشاء يختار تقليدا معينا كالغزل أو الشكوىٰ ليجعله تمهيدا للدخول في الموضوع ، ولكن هذا التمهيد لا يعقل أن ينفصل عن مشاعره كل الانفصال وإنما نجد مشاعره عادة منبثة خلال هذا التمهيد قصد أو لم يقصد "[1]

ولم يستحسن أبوهلال لأبي الطيب إلا هذا المطلع وعاب كل ما ذكره من مطالعه بعد ذلك :

(١) مطلع القصيدة العربية ودلالته النفسية . د/ عبدالحليم حفني . ص ٧٢ الهيئة المصرية العامة للكتاب . ١٩٨٧م .

٢- يقول المتنبي :

كُفّي! أرَاني- وَيْكِ - لَوْمَكِ ألوَما هَـمٌّ أقَـامَ عَـلىٰ فُـؤادٍ أنْـجَـمَـا[١]

هذا البيت مطلع قصيدة يمدح فيها المتنبي رجلا نصرانيا ، أظهر الإسلام وهو متهم بالتنصر فأراد أن يستكشفه .[٢]

معنى البيت :

الخطاب للعاذلة، وويك: قريبة من ويحك، وأنجم: أقلع ، يقول للعاذلة كفّي واتركي عذلي فقد أراني لومك أبلغ تأثيرا ، وأشد علىٰ هم مقيم علىٰ فؤاد راحل ذاهب مع الحبيب [٣]

البيت في التراث النقدي :

لم يتفرد أبوهلال بقدح هذا البيت بل عابه – أيضا – ابن الأثير ، فذكر أن مطلع المتنبي من الابتداءات التي تستقبح وإن لم يتطير منه[٤]

وذكر البديعي أن من شروط الابتداء ألا يكون يتطير منه كما مر، ولا يمجه السمع ، ثم ذكر مطالع معيبة منها هذا المطلع .[٥]

رأي البحث :

هذه القصيدة قالها في صباه والمطلع وإن كان غزليا إلا أنه ترجمة حقيقية لمعاناة الشاعر في تلك المرحلة من حياته ، فلم ير من المحبوبة إلا اللوم والهم فأخذ يشكو حاله فيقول :

كُفّي! أرَاني- وَيْكِ- لَوْمُكِ ألوَما هَـمٌّ أقَـامَ عَـلىٰ فُـؤادٍ أنْـجَـمَـا

---

(١)البيت في الصناعتين ص ٤٥٥، وفي ديوان المتنبي ص١٥.

(٢) شرح المعري ح ١ ص ٤٥.

(٣) ينظر : السابق والصفحة وشرح الواحدي ج١ ص١٢٢ .

(٤) المثل السائر ج٣ ص ١٠٢.

(٥)الصبح المنبي ج٢ ص ٣٢.

فاستقبال هذا الفعل (كفي) في بداية المطلع دل علىٰ أن المتنبي يخاطب امرأة ويطلب منها الكف فدل علىٰ أن ضررا وقع عليه خاصة أن الفعل يتعدىٰ إلىٰ مفعول لم يذكر ؛ لأن ما يريد أن يعبر عنه المتنبي هو أن حبه لم يجن منه إلا الشقاء فهويطلب منها الكف وليتسع هذا الكف ليشمل حبها وضررها وكل ما يأتي من قبلها ،

فالمتنبي نزل الفعل المتعدي منزلة الفعل اللازم ؛ لأن المفعول مهما قدرلا يتسع لمعاناته وآلامه ، وبهذه الصنعة يكون المتنبي قد أدخلنا في جو الأحداث ، وأن الغزل هنا ليس غزلا عاديا إنما هو غزل العناء والتعب والشقاء ، وحتىٰ يكون طلبه مقبولا وأن طلب الكف ليس كرها فيها ولا جفوة في قلبه تجاهها بين سبب هذا الطلب فقال :

أرَاني- وَيْكِ- لَوْمُكِ ألوَما

ولذلك فصل بن الجملتين لشبه كمال الاتصال ، فلم يمهلها لحظة تفكر فيها أن طلب الكف من قبله بل سارعها ببيان أن هذا الطلب بسبب لومها الذي أثر فيه أشد تأثير ، و ذلك لأن "المحزون لا يطيق استماع الملام فهو يقول لومك أوجع في هذه الحالة فكفي ودعي اللوم" (١)

وجاء حذف المبتدأ في الشطر الثاني والتقدير(حالي هم) متوافقا مع حالته النفسية ؛ فقد ضاق المقام به وأراد أن يجعل همه في أنف الكلام فحذف المبتدأ ، وهو ليس هما عاديا بل هو هم مقيم لا ينقشع أوضحته الاستعارة وبينته وجعلته ماثلا مجسدا أمام الأعين ، فهو هم عظيم جعل من القلب مرتعا له والهم واللوعة يناسبه ما في معنىٰ الفؤاد من التفؤد والتوقد وهذا الفؤاد رحل مع الحبيب وهذا هو سبب الهم فالحبيب قد رحل ورحل معه قلبي .

(١) شرح الواحدي ج١ ص ١٢٢.

إن صياغة المطلع سلسة سهلة لا تعقيد فيها ، وشكوىٰ الحال امتدت من المطلع إلىٰ معظم أبيات المقدمة الغزلية يقول المتنبي :

وخيال جسمٍ لم يخل له الهوىٰ ... لحماً فينحله السقام ولا دما

وخفوق قلبٍ لو رأيت لهيبه ... يا جنتي لظننت فيه جهنما

يا وجه داهية الذي لولاك ما ... أكل الضنا جسدي ورض الأعظما

إن كان أغناها السلو فإنني ... أمسيت من كبدي ومنها معدما[1]

فالمعاني بائسة والحب لم يبق فيه جسدا ولا لحما ولا دما ولا أعظما حتىٰ صار معدما ، وكل هذه المعانىٰ تدل علىٰ أن هذا الغزل ما هو إلا صورة معبرة عن حاله ، ونفسيته التعيسة وعدم انتشائه وحبه للمدوح وهذا يؤكد كلام المعري في أن مغزىٰ المدح في هذه القصيدة هو بيان حال هذا الرجل وكشف حقيقته ، يقول المتنبي :

يا أيها الملك المصفي جوهراً ... من ذات ذي الملكوت أسمىٰ من

قال الواحدي معلقا علىٰ هذا البيت : " وهذا مدح يوجب الوهم وألفاظٌ مستكرهة في مدح البشر وذلك أنه أراد أن يستكشف الممدوح عن مذهبه حتىٰ إذا رضىٰ بهذا فقد علم أنه رديء المذهب ، وإن أنكر علم أنه حسن الاعتقاد"[2] فما كان مدحه إلا لعلة وجاء المطلع والمقدمة كلها متناسبا ومتناغما مع الجو العام للقصيدة .

ولذلك فلا يرىٰ البحث في هذا المطلع عيبا .

(١) الديوان ص ١٥ .

(٢) شرح الواحدي ج١ ص ١٢٢ .

٣- يقول المتنبي :

أبـا عـبـد الإلـه مـعـاذ : إني خفي عنـك في الهيجـا مقـامي[1]

هذا مطلع أبيات يرد فيها علىٰ أبي عبد الله معاذ بن إسماعيل اللاذقي وقد عزله علىٰ تقدمه في الحرب .

معنى البيت :

يقول يخفي عليك مقامي في الحرب لأني مختلط بالأبطال ملتبس بالأقران بحيث لا تراني أنت .

البيت في التراث النقدي :

لم يتناول هذا المطلع أحد من أهل العلم لا مستحسنا ولا مستهجنا إلا أبوهلال فقد عابه كما مر.

رأي البحث :

البيت مطلع ستة أبيات رد فيها المتنبي علىٰ أبي عبد الإله بأسلوب خطابي مباشر بين في هذه الأبيات مدىٰ شجاعته وقوته يقول :

أبَـا عَـبْـدِ الإلـهِ مُـعـاذُ: إنّـي خَفيٌّ عَنْكَ في الهَيْجا مَقامي

ذكَرْتُ جَسـيـمَ مـا طَلَبي وإنّـا نُخاطِرُ فيهِ بالمُهَجِ الجِسـامِ

أمِـثْـلي تـأخُـذُ الـنّـكَـبـاتُ مِـنْـهُ وَيَـجـزَعُ مِـنْ مُـلاقـاةِ الـحِـمـامِ

ولو بَرَزَ الزّمـانُ إليّ شَـخصـًا لخَضّـبَ شـعرَ مَفرِقِهِ حُسـامي

ومـا بَلَغَـتْ مَشـيـئَتَهـا اللّيـالي ولا سَـارَتْ وفي يَـدِهـا زِمَـامـي

إذا امتَلأتْ عُـيُـونُ الـخَـيْـلِ مـني فَـوَيْـلٌ فى الـتّـيَـقّـظِ والـمَـنَـام[2]

---

(١)البيت في الصناعتين ص ٤٥٥، وفي ديوان المتنبي ص ٥١.

(٢) الديوان ص ٥١ .

فالمتنبي يرد علىٰ هذا الرجل بلا مقدمات فيخبره أنه لا يعرف مقامه في الحرب ولو عرف ما عتب عليه فهو دائما ما يخاطر بالمهج والأرواح ، لأنه لا يخاف الموت ولو برز له الزمان لصرعه وخضب شعر رأسه بدمه ، وإذا رآه الأعداء يقظة أو مناما فويل لهم منه .

فما الذي يمكن أن يؤاخذ عليه المتنبي في هذا المطلع ؟ إن المطلع صياغة وأسلوبا وموسيقا علىٰ أتم وأفضل ما يكون ، وقد استهل المتنبي بيانه بهذا النداء : " أبا عبد الإله " إثارة منه ـ وتنبيها له للمنادىٰ لما سيُلقي عليه بعد النداء فيجمع له قلبه ، ويفتح له عقله ، فيتلقي الخبر علىٰ قدر عال من الإيقاظ والإحساس ، وهذا أثبت في تقرير المعنىٰ وتمكينه في الذهن ، وقد صاغه صياغة مؤكدة ب (إن) التي تؤكد نسبة خبرها إلىٰ اسمها ، وهذا التأكيد نابع من إحساسه بالمخاطب الذي يتشكك في قدراته ، فألقىٰ له الخبر مؤكدا ، فهو يؤكد علىٰ أن مقامه وقدراته في الحرب خفية علىٰ أبي عبد الإله ، فلم يطلق الخفاء وإنما قيده بقوله : (عنك) حتىٰ لا يظن أن أمره خاف علىٰ كل أحد ، بل إنه لينفي كل ذلك وجعل هذا المتعلق أولا فلم يقل مثلا (خفي في الهيجا عنك مقامي) وإنما بدأ ب (عنك) ليخبر أولا أن أمره في الحرب معروف ومشهور بل الخيل والليل والبيداء تعرف قدراته ، وخفاء حالي عنك راجع إليك ، كل هذا نستطيع أن نستشفه من خلال تلك الزحزحات التي تنبيء عن مكنون الضمائر ، وتظهر المعنىٰ المقصود .

فالمطلع قاصد إلىٰ بيان غرض الشاعر ومعانيه ، في سهولة وقوة طبع تنبيء عن ذوق وإحساس وروح وإبداع .

٤- يقول المتنبي :

هَذي بَرَزتِ لَنا فَهُجتِ رَسيسا ثُمَّ اِنثَنَيتِ وَما شَفَيتِ نَسيسا[١]

هذا المطلع لقصيدة يمدح فيها المتنبي محمد بن زريق الطرسوسي[٢]

معنى البيت :

يقول للمحبوبة: يا هذه: برزت لنا هذه البرزة الحسنة فهيجت لنا الهوىٰ وحرارة القلوب ثم انصرفت عنا ولم تشف بقية نفوسنا التي أبقيت لنا، وبقية مرضنا الذي هيجت لنا ببروزك وما شفيت اختلاج عيوننا ولا سكنت لنا عطشًا.[٣]

البيت في التراث النقدي :

لم يتفرد أبوهلال بقدح هذا المطلع فقد ذكره القاضي الجرجاني في جملة أبيات تحتاج إلىٰ تبيين وكشف ، حيث ذكر أنهم عابوا علىٰ المتنبي حذف علامة النداء من هذي ؛ لأن هذي تصلحُ أن تكون نعتًا لأي، وكل معرفة تصلح جاز أن تكون نعتًا لأي، فحذفُ علامة النداء منه غير جائز، ورد القاضي علىٰ ذلك بأن ضرورة الشعر تجيز ذلك[٤]

وعاب هذا المطلع ابن وكيع فذكر أن حذف حرف النداء من المبهمات(هذي) لحن عند البصريين ؛ لأنه لا إعراب له يدل علىٰ إرادتك

(١) البيت في الصناعتين ص ٤٥٥، وفي ديوان المتنبي ص٥٨.

(٢) ينظر : الديوان ص ٥٨ .

(٣) ينظر : شرح المعري ج١ ص ٢٠٩ .

(٤) ينظر : الوساطة ٤٦٥ وما بعدها .

كما يدل قولك: (زيد أقبل) علىٰ المحذوف ، ولا يجوز إلا في رواية شاذة غير موثوق بها ولا معمول عليها.[1]

وعاب الثعالبي علىٰ المتنبي هذا المطلع فقال : "ولأبي الطيب ابتداءات ليست لعمري من أحرار الكلام وغرره، بل هي - كما نعاها عليه العائبون - مستشنعة لا يرفع السمع لها حجابه، ولا يفتح القلب لها بابه، كقوله:

هذي برزت لنا فهجت رسيسًا ثم انصرفت وما شفيت نسيسا

فإنه لم يرض بحذف علامة النداء من " هذي " ، وهو غير جائز عند النحويين، حتىٰ ذكر الرسيس والنسيس، فأخذ بطرفي الثقل والبرد."[2]

فالثعالبي لم يكتف بما عابه به النحويون وإنما أخذ عليه ذكره (الرسيس والنسيس) وجعل ذلك من قبيل الثقل والغثاثة

ونقل صاحب الصبح المنبي كلام الثعالبي في نقده لهذا المطلع ولم يزد عليه حرفا[3]

رأي البحث :

تركزت مآخذ أهل العلم علىٰ هذا المطلع في حذف (يا) النداء من اسم الإشارة (هذي) لأنه مبهم وهذا رأي البصريين ولم ير بعض النحاة في ذلك عيبا ؛ لأن الكوفيين يجيزون ذلك قال الصبان : " قد يمنع التلحين بأن المتنبي كوفي ، ومذهب الكوفيين جواز حذف حرف النداء من اسم الإشارة" [4] وذكر

---

(١) ينظر : المنصف للسارق والمسروق منه ص ٣٨٥.

(٢) يتيمة الدهرج١ ص١٨١ .

(٣) ينظر : الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ج٢ ص١٦ .

(٤)حاشية الصبان علىٰ شرح الأشمونىٰ لألفية ابن مالك . الشيخ / محمد بن علي الصبان . ج٣ ص ٢٠٢ دار الكتب العلمية . بيروت. لبنان .
ط . الأولىٰ ١٤١٧ هـ -١٩٩٧م .

الأشموني أن قوله: "هذي" حذف حرف النداء من اسم الإشارة علىٰ عادة الكوفيين[1]

ورأىٰ أبو العلاء بأن المطلع لا نداء فيه وأن (هذي) موضوعة موضع المصدر إشارة إلىٰ البرزة الواحدة كأنه يقول: هذه البرزة برزت فهيجت رسيسا[2] ، وذكر ابن فورجة أن تأويل أبي العلاء حسن لا حاجة معه إلىٰ اعتذار.[3]

وهذا التخريج لا يكتفي البحث به في الرد علىٰ من عابوا هذا المطلع بل يزيد إلىٰ بيان جماله وإبداعه ، فحذف (يا) النداء فيه إشارة إلىٰ قرب المحبوبة من قلبه ، واسم الإشارة (هذي) أحضر المحبوبة أمامنا فميزها تمهيدا لبروزها الذي دل عليه في قوله (برزت) وهذا البروز يعني قوة الظهور فلم يقل خرجت أو طلعت وإنما (برزت) ليدل علىٰ أن طلعتها تلفت الانتباه فكأنها تزهو بهذا البروزالذي رتب عليه بالفاء قوله (فهجت رسيسا) ليتقاصر الوقت ويتلاشىٰ بين بروزها وترتب تأثيرها ، وقد دلت هذه الجملة علىٰ بيان قوتها الفاعلة في تهييج مشاعره وأحاسيسه من خلال المجاز العقلي لعلاقة السببية حيث أسند الفعل في قوله(فهجت) إلي ضميرها وهي من شدة جمالها وقوة فتنتها لم تهج شيئا غير ثابت بل هيجت رسيسا والرسيس هو الثابت المستقر من الهوىٰ والحب والهيام[4] .

(١)شرح الأشموني علىٰ ألفية ابن مالك . ج٣ ص ٢٠ دار الكتب العلمية بيروت– لبنان ط . الأولىٰ ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨مـ .

(٢) ينظر : شرح ابي العلاء ج ١ ص ٢١٠ .

(٣) ينظر : الفتح علىٰ أبي الفتح . ابن فورجة . ص ١٦٣ . ت . د/ عبد الكريم الدجيلي. دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد – العراق ط . الثانية . ١٩٨٧ م.

(٤) ينظر : لسان العرب (رسس).

وتبدو دقة المتنبي في توظيفه لحروف العطف فجاء بـ(ثم) في قوله : (ثُمَّ اِنثَنَيتِ وَما شَفَيتِ نَسيسا)

لتدل علىٰ تدللها عليه وأن المحبوبة قد أخذت وقتها في تهييج مشاعره حتىٰ تركته وانثنت عائدة في هدوء كأنها لم تجن عليه ، وجاءت جملة الحال (وما شفيت نسيسا) لتدل علىٰ أن المحبوبة ما تركته إلا نسيسا والنسيس هو بقية الروح الذي به الحياة ، سمي نَسيسًا لأنه يساق سوقًا، وفلان في السِّياق وقد ساق يَسُوق إذا حَضَرَ رُوحَه الموتُ ، ويقال: بلغ من الرجل نَسِيسُه إذا كان يموت [1] فلم تتركه المحبوبة إلا وقد شارف الهلاك ، مع أن مظنة بروز المحبوبة له أن تريحه ، فيفرح برؤياها ويبل ريقه بمحياها ، إلا أن شيئا من ذلك لم يحدث وهو ما أكد عليه في البيت الثاني :

وجعلتِ حظي منك حظي في الكرىٰ وتركتني للفرقدين جليسا

أي حلت بيني وبينك كما حلت بيني وبين الكرىٰ فحظي منك ومن وصالك كحظي من الكرىٰ أي لا حظ لي من الوصال ولا من النوم [2]

حتىٰ يصل منها إلىٰ هذه النتيجة :

ولمثل وصـلك أن يكون ممنعا ولمثل نيلك أن يكون خسـيسـا

فوصلها ممنع ونيلها قليل ، فالمطلع وما بعده يؤكد علىٰ فكرة التمنع وصعوبة الوصول إلىٰ المحبوبة وهذه المعاني تمهيد مطرد لقصيدة المديح ، فالمطلع لا عيب فيه .

(١)ينظر : لسان العرب (نسس) .

(٢) شرح الواحدي ج١ ص٣٢٧ .

٥- يقول المتنبي :

جَلَلاً كما بي فَلْيَكُ التَّبريح أغذاءُ ذا الرَّشأِ الأغنّ الشِّيحُ [1]

هذا مطلع قصيدة يمدح فيها المتنبي محمد مساور بن محمد الرومي.

معنى البيت :

الجلل: الأمر العظيم والتبريح: هو الشدة. والرشأ: ولد الظبية، والأغن: الذي يخرج صوته من الخيشوم. والشيح: نبت معروف، وهو من نبات نجد، وهو ينعم المواشي إذا رعته.

يقول: ليكون التبريح والشدة عظيمًا كما بي، فتم الكلام هاهنا، ثم استأنف في المصرع الثاني متعجبًا من المشبه به فقال: أغذاء ذا الرشأ الأغن الشيح؟! أي فرط شبهه بالظبي شككت فيه: أنه ظبي في الحقيقة أم لا؟

البيت في التراث النقدي :

أورد القاضي الجرجاني اعتراضات العلماء علىٰ هذا البيت وردود المحتجين عن المتنبي عليها فذكر أن أهل الإعراب عابوا علىٰ المتنبي حذف النون من (تكن) إذا استقبلتها اللام ؛ لأنها تتحرك الىٰ الكسر، وإنما تحذف استخفافًا إذا سكنت، وذكر القاضي أن المحتجّين عن أبي الطيب قالو : إن وجهَ الكلام ما ذكرتُم، لكنّ ضرورة الشعر تُجيز حذف النون مع الألف واللام

وساق القاضي اعتراض أصحاب المعاني علىٰ البيت ، حيث ذكروا أن المتنبي قطعَ المصراع الثاني عن الأول في اللفظ والمعنىٰ، وذكر القاضي أن المحتجّين عنه قالوا : إنما يسوغُ الإنكار لو قطع قبل الإتمام ، وابتدأ بالثاني

(١) البيت في الصناعتين ص ٤٥٦، وفي ديوان المتنبي ص٦٦.

وقد غادر من الأول بقية، فأما أن يستوفي مراده ، ثم ينتقل الىٰ غيره فليس بعيب، وإنما المصراعان كالبيتين، و قد استوفي بقوله: (جلَلاً كما بي فليَكُ التّبريحُ) هذا المعنىٰ، ثم ابتدأ بالمصراع الثاني مستفهمـًا فما في هذا من العيب! وقال بعضهم: قد يفعلُ الشاعر مثل هذا في النسيب خاصة ليدلّ به علىٰ تمكّن الشوق منه وغلبة الحب عليه ، وليرىٰ أن آثار الاختلاط ظاهرة في كلامه، وأنه مشغول عن تقويم خطابه، قالوا: ولذلك قال:

أغِذاء ذا الرّشإ الأغنّ الشيحُ

وقال غيرهم إن بين المصراعين اتصالاً لطيفـًا، وهو أنه لما أخبر عن عظم تبريحه، وشدّة أسفه بيّن أن الذي أورثه التبريح والأسف وهدَىٰ إليه الشوق والقلق هو الأغنّ الذي شكّكه غلبة شِبْه الغِزلان عليه في غذائه، وهذا الاعتذار قريب .[1]

وعاب ابن وكيع حذف النون من (يك) وخلص من ذلك إلىٰ أن المتنبي لم يكن علمه بالعربية طائلاً[2]

وعابه الثعالبي فذكر أن حذف النون من " يكن " إذا استقبلها الألف واللام خطأ عند النحويين، لأنها تتحرك إلىٰ الكسر، وإنما تحذف استخفافـًا إذا سكنت.[3]

(١) الوساطة ص ٤٤١.

(٢) المنصف للسارق والمسروق منه ص ٧٨١ ومابعدها .

(٣) يتيمة الدهرج ١ ص ١٩٣.

وذكر البيت ابن رشيق وعلل لقطع المصراع الأول عن الثاني فقال : "ومن الشعراء من يقطع المصراع الثاني من الأول إذا ابتدأ شعراً، وأكثر ما يقع ذلك في النسيب، كأنه يدل بذلك علىٰ وله وشدة حال ، كقول أبي الطيب:

جللاً كما بي فليك التبريح أغذاء ذا الرشا الأغن الشيح؟

فهذا اعتذار من اعتذر له، ولو وقع مثل هذا في الرثاء والتفجع لكان موضعه أيضًا، وكذلك عند العظائم من الأمور والنوازل الشديدة."[1]

وعاب أسامة بن منقذ البيت وذكر أنه لا حبك فيه ولا سبكا بل جاء مفكوكا حيث انفصل المصراع الأول من المصراع الثاني، ولم يتعلق بشي من معناه فجمع المتنبي في مطلعه بين العسف واللكنة والانفكاك ؛ لأن خير الكلام المحبوك الذي يأخذ بعضه برقاب بعض[2]

إذن فقد دارت قدحات العلماء لهذا المطلع حول أمرين :

الأول : حذف النون من (فليك) وهذا خطأ عند النحاة.

الثاني : انفصال المصراع الأول عن الثاني ، وهذا عيب عند أصحاب المعاني .

رأي البحث :

عاب أبوهلال العسكري المطلع ولم يبين الجهة التي كان منها هذا العيب ومن عاب البيت عابه من جهتين :

الأولى : جهة نحوية حيث حذفت النون من قول المتنبي (فليك) مع أن بعدها ألف ولام ، والرد علىٰ ذلك سهل ميسور فالمتنبي الشاعر العالم

(١) العمدة ج١ ص ٢٢١.

(٢)البديع في نقد الشعر. أسامة بن منقذ ص١٦٢ ومابعدها

بالعربية ودقائقها ووجوه أساليبها لم يك ليقع في مثل هذا ؛ لأن أمر حذف النون وإثباتها كما قال أهل العلم بالعربية أمر فيه اتساع فحذف النون مع الألف واللام بعضهم لا يُجيزه، والأولىٰ أن يكون جائزاً، وكأنه إنما جاء بالألف واللام، بعد ما جرىٰ الكلام علىٰ الحذف [1]

ويمكن تلمس معنىٰ بلاغيا كامنا وراء هذا الحذف ، فالحديث عن التبريح والشدة وذلك يناسبه الخفة واللمح لا البسط والإطناب ، كما أن التبريح المطلوب كونه وتحققه يكون أكثر ثبوتا بالنون ، وأقل ثبوتا بالحذف.

الثانية : جهة بلاغية معنوية وهي الانفصال بين المصراعين ولا مطعن فيه لأن المصراعين بمنزلة البيتين، فكما يجوز أن يكون أحد البيتين منقطعاً عن الآخر، فكذلك المصراعان، وقد ورد مثال ذلك في الأشعار، والمعنىٰ ليكون التبريح والشدة عظيماً كما بي، فتم الكلام هاهنا، ثم استأنف في المصرع الثاني متعجباً من المشبه به فقال: أغذاء ذا الرشأ الأغن الشيح؟! أي فرط شبهه بالظبي شككت فيه: أنه ظبي في الحقيقة أم لا؟

وقد قيل في وجه اتصال المصراعين وجهان:

أحدهما : أنه بين في المصراع الأول حالة في شدة التبريح وبالغ فيه، ثم بين في المصراع. الثاني: أن من فعل به تبريح الهوىٰ هو الرشأ الأغن المنعم الذي ربىٰ بالشيح

---

(١) ينظر : ما يجوز للشاعر في الضرورة . محمد بن جعفر القزاز القيرواني . ص ٢٠٧ وما بعدها . ت. د / رمضان عبدالتواب والدكتور صلاح الدين الهادي دار العروبة . الكويت – بإشراف دار الفصحىٰ بالقاهرة . بدون .

والثاني: أن معناه: إن كان في الدنيا تبريحًا، فليكن عظيمًا مثل ما بي. ثم قال: أتظنون أن من فعل بي هو الرشأ الذي غذاؤه الشيح؟ ما هو إلا الرشأ الذي غذاؤه قلوب العاشقين وأبدانهم ، فيا له من رشأ أغن! [1]

وذكر القاضي سرا بلاغيا لصنيع المتنبي وأن ظهور الانفكاك بين المصراعين قد يفعلُه الشعراء في النسيب خاصة ليدلّ به علىٰ تمكّن الشوق منه وغلبة الحب عليه ، وليرىٰ أن آثار الاختلاط ظاهرة في كلامه، وأنه مشغول عن تقويم خطابه [2]

ولذلك أرىٰ أن المطلع لا عيب فيه وأن ما أخذه بعض أهل العلم علىٰ المطلع مردود عليه .

(١) ينظر: شرح الديوان . المعري ج١ ص٢٣٩ .

(٢) ينظر : الوساطة ص ٤٤١ .

٦- يقول المتنبي :

أُحـادٌ أَم سُـــداسٌ في أُحـادِ لُيَيلَتُنـا المَنوطَـةُ بِـالتَنـادِ؟ [١]

هذا البيت مطلع قصيدة يمدح فيها المتنبي علي بن ابراهيم التنوخي .

معنى البيت :

يقول هذه الليلة واحدة ، أم ليالي الدهر كلها جمعت في هذه الواحدة ، حتىٰ طالت وامتدت إلىٰ يوم القيامة؟ وهو قوله : (ليلتنا المنوطة بالتناد[٢]) .

البيت في التراث النقدي :

عاب أبوهلال المطلع السابق كما عابه غيره ، فذكرالصاحب بن عباد أن مطلع القصيدة السابق من مطالع قصائد المتنبي التي تحير الأفهام وتفوت الأوهام وتجمع من الحساب ما لا يدرك بالأرتماطيقي ، وبالأعداد الموضوعة للموسيقىٰ ثم ذكر بيت المتنبي السابق وذكر أن هذا كلام الحكل ورطانة الزط ، وما ظنك بممدوح قد تشمر للسماع من مادحه ، فصك سمعه بهذه الألفاظ الملفوظة والمعاني المنبوذة، فأي هزة تبقىٰ هناك؟ وأي أريحية تثبت إذ ذاك؟ [٣]

وذكر هذا المطلع القاضي الجرجاني في جملة أبيات ذكر أن بعض النقاد استبردوها ولم يغفروها له [٤]

---

(١)البيت في الصناعتين ص ٤٥٦، وفي ديوان المتنبي ص ٨٥.

(٢) شرح الواحدي ج ١ ص ٤٨٨ .

(٣) .الكشف عن مساوي شعر المتنبي . ص ٦٣ .

(٤) الوساطة ص ١٥٦ .

وعاب ابن وكيع المطلع من جهتين :

الأولى : قوله (سداس) وذكر أن العرب ما عدت أكثر من رباع .

الثانية : تصغير (ليلة) علىٰ لفظها وذكر أن التصغير وإن كان للتعظيم فلم اقتصر علىٰ سداس ولم يقل : أحاد في عشار فيكون أطول لما أحب وصفه بالطول ثم أخبر أنها موصولة بالتنادي يعني بالتنادي بالرحيل فكأنما المسافة بينه وبين وقوع التنادي ست ليال علىٰ قياس لفظه ، ليخلص ابن وكيع إلىٰ أن هذا المطلع كلام به من قلة الماء وبهجة الرواء ما ترىٰ [1] .

وعاب الثعالبي هذا البيت ونقل نص كلام الصاحب بن عباد [2]

وذكر الحريري صاحب درة الغواص أَن المتنبي وهم فِي أَرْبَعَة مَوَاضِع فِي هَذَا الْبَيْت : أَحدهَا أَنه أَقَامَ أحاد مقَام وَاحِدَة، وسداس مقَام سِتّ، لِأَنَّهُ أَرَادَ أليلتنا هَذِه وَاحِدَة أم وَاحِدَة فِي سِتّ ؟والموضع الثَّانِي أَنه عدل بِلَفْظَة سِتّ إِلَىٰ سداس وَهُوَ مَرْدُود عِنْد أَكثر أهل اللُّغَة، الْموضع الثَّالِث أَنه صغر لَيْلَة علىٰ لييلة، والمسموع فِي تصغيرها: لييلية، وَالرَّابِع أَنه نَاقض كَلَامه، لِأَنَّهُ كنىٰ بتصغير اللَّيْلَة عَن قصرهَا، ثمَّ عقب تصغيرها بَان وصفهَا بالامتداد إِلَىٰ التناد. [3]

---

(١) ينظر : المنصف للسارق والمسروق منه ص ٦٩.

(٢) ينظر : يتيمة الدهر ج١ ص ١٨٣ .

(٣)درة الغواص في أوهام الخواص أبو محمد الحريري البصري (المتوفي: ٥١٦هـ) ص ١٧٧ . مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت

ط . الأولىٰ، ١٤١٨/ ١٩٩٨هـ

وعاب صاحب الصبح المنبي بيت المتنبي السابق ونقل نص كلام الصاحب بن عباد [1]

فكل المطاعن التي وجهت إلىٰ البيت انحصرت في حذف الهمزة ، وقوله (سداد) والجمع بين تصغير (ليلة) والمبالغة في الطول .

رأي البحث :

البيت لا عيب فيه وأن كل ما أخذ عليه مردود عليه ، وقد دافع شراح الديوان عن هذا البيت وفند الشهاب الخفاجي هذه المآخذ أيضا وتركزت ردودهم في أنه أقام أحاد مقام واحدة وسداس مقام ست، لأنه أراد أليلتنا هذه واحدة أم واحدة في ست ؟ فالمعنىٰ الإخبار عن ليلة فراقه أنها منقسمة إلىٰ واحدة واحدة، أي أن كل جزء من أجزائها بمثابة ليلة واحدة ، ثم رأىٰ أنها أطول من ذلك فأضرب واستفهم: هل هي باعتابر الأجزاء منقسمة إلىٰ ست ست في كل واحد واحد من أجزاءالليلة ؟ هذا إن جعلت (أم) منقطعة، فإن جعلت متصلة فالمعنىٰ: أطلب التعيين لأحد هذين الأمرين، فلم يخرج العدد عن استعماله في معناه، وقد قال "ابن بري": إن "أحاد" ورد في كلام العرب بمعنىٰ واحد .

و قولهم أنه عدل بلفظ ست إلىٰ "سداس" وهو مردود عن أكثر أهل اللغة العربية فمردود عليه بأن من النحاة من أثبته مع أن "المتنبي" أيضًا يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه.

---

(١) الصبح المنبي ج ٢ ص ٣٥ .

أما زعمهم أنه صغر ليلة علىٰ لييلة، والمسموع في تصغيرها لييلية فما نطق به المتنبي هو القياس، ومثله ما رآه بعض النحاة جائز، علىٰ أن منهم من ذهب إلىٰ أن هذا التصغير صحيح وجمعه علىٰ ليال بناء علىٰ أن له مفردًا مقدرًا وهو ليلاه.

أما قولهم أنه ناقض نفسه في كلامه حيث وصف الليلة بالامتداد إلىٰ يوم التناد ثم صغرها تصغيرًا يدل علىٰ قلتها فهذا أيضًا ليس بشيء لأن التصغير قد جاء للتكثير والتعظيم[1] ويبين ابن سيدة وجه إفادة التصغير للتعظيم فيذكر أن الشيء قد يعظم في نفوسهم ، حتىٰ ينتهي إلىٰ الغاية فاذا انتهىٰ إليها عكس إلىٰ ضده، لعدم الزيادة في تلك الغاية، وهذا مشهور من رأىٰ القدماء الفلاسفة الحكماء: أن الشيء إذا انتهىٰ انعكس إلىٰ ضده[2]

فالمتنبي أراد أن يبين طول ليله وهذا من عادة الشعراء إذا تحدثوا عن ليل العاشقين ولكل واحد منهم وجهة هو موليها ؛ لأن الإحساس بالزمن متفاوت والمتنبي يخبر أن هذه الليلة التىٰ فارق فيها محبوبته يتشكك أهي ليلة واحدة أم هي ليالي الأسبوع كله حتىٰ إنها استطالت واتصلت بيوم القيامة مبالغة في طولها.

---

(١) ينظر : شرح درة الغواص في أوهام الخواص . الشهاب الخفاجي المصري . ص ٥٣٤ وما بعدها. ت . د/ عبد الحفيظ فرغلي . دار الجيل. بيروت لبنان ط . الأولىٰ ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م . وينظر : شرح الواحدي ج١ ص ٤٤٨ وما بعدها . شرح المعري ج١ ص ٢٩٨ وما بعدها .

(٢) شرح المشكل من شعر المتنبي . ابن سيدة . ص ١٦ .

والمطلع متناسب مع أفكار القصيدة ، والمقدمة الغزلية التي ابتدأها المتنبي بهذا المطلع اتسمت بالألم والمعاناة وقد انعكس ذلك علىٰ رؤيته للكون من حوله يقول بعد هذا المطلع :

كأن بنات نعشٍ في دجاها خرائد سافرات في حداد

فلم ير شبها للكواكب المضيئة في ظلمة الليل إلا الجميلات اللاتي اتشحن بالسواد والصورة إن كانت متناسبة شكليا إلا أن الصورتين لا يتناسبان من الناحية النفسية وأرىٰ أن هذا مقصود من المتنبي، فالليل طويل أصابه فيه الحزن والهم من فراق محبوبته فانعكس كل ذلك علىٰ صوره ومعانيه .

وقد بلغ به الألم في ليله الطويل إلىٰ التفكير في ملازمة المنايا وممارستها في الحروب والإقدام علىٰ القتال، يقول :

أفكر في معاقرة المنايا وقود الخيل مشرفة الهوادي

وأخذ يتحدث كيف أنهكه السفر وأضناه وتعب حتىٰ وصل إلىٰ الممدوح وهذا نهج تقليدي معروف ، يقول :

جزىٰ الله المسير إليه خيراً وإن ترك المطايا كالمزاد

فالمسير إليه أذهب لحوم المطايا فلم يبق في المطية لحم ولا في المزاد زادٌ.

فالمعاني كلها تفيض بالبؤس والمعاناة وتتوافق مع مطلع القصيدة ولذلك فالمطلع قد جاءه الحسن من كل جهة .

يقول المتنبي :

٧- لِجِنّيّةٍ أمْ غادَةٍ رُفِعَ السَّــجْفُ لوَحْشِيّةٍ ؟ لا ما لوَحشيّةٍ شَنْفُ.[١]

وهذا البيت مطلع قصيدة يمدح فيها المتنبي أبا الفرج أحمد بن الحسين القاضي المالكي .

معنى البيت :

نظر الشاعرإلىٰ محبوبته وقد رفع عنها ستر قبتها، فحيره حسنها، فلم يدر أجنيةٌ هي؟! أم غادة ناعمة؟ فقال: هذا الستر المرفوع لجنية أو غادة أو وحشية ثم استدرك فقال لو كانت وحشية لما كان لها شنف.

البيت في التراث النقدي :

عاب أبوهلال المطلع السابق كما عابه غيره ، قال الصاحب بن عباد:"ومن مبادئه التي تنبئ عن ركوبه لرأسه وعشقه لنفسه قوله:

لجنيـه أم غـادة رفع الســجف لوحشية لا ما لوحشية شنف "[٢]

ولا أدري كيف استقام له ذلك من قراءة هذا المطلع ؟!

وعابه ابن وكيع مستنكرا أن يكون المتنبي علىٰ علم بأن الجن أحسن منظرا من الإنس ، ثم ذكر أن قول المتنبي (لوحشية ؟ لا ما لوحشية شنف) مسروق من قول أبي تمام :

لـم يُـخـطـك الـجـيـدُ مِـنْ غَـزال لـو عـطّـلـوه مـن الســحـابِ

فأنكر هذا الشنف كما أنكر هذا السحاب)[٣]

---

(١)البيت في الصناعتين ص ٤٥٦، وفي ديوان المتنبي ص ١٠٥ .

(٢)الكشف عن مساويء شعر المتنبي. الصاحب بن عباد . ص ٦٧ .

(٣)المنصف للسارق والمسروق منه ابن وكيع ص ٥٠٨.

وذكرالعميدي أن بيت المتنبي مأخوذ بلفظه ومعناه من قول العوني :

ولما رفعت السَّـجف أبصـرتُ نَفُوراً من الغزلان في أذْنِها شَنْفُ[1]

ورأي العميدي فيه نظر فبيت العوني توقف عند رفع الستر فرأىٰ في محبوبته صورة الغزال ، أما المتنبي فرفع الستر جعله يحار في أمر محبوبته أهي من عالم الجن أم من عالم الإنس أم من عالم البقر الوحشي ؟ ليعود فينفي ذلك إذ الوحشية لا شنف لها فمعنىٰ بيت المتنبي وصورته في واد وبيت العوني في واد آخر .

رأي البحث :

المطلع في قمة الإبداع ولم أجد فيما ذكره الناقدون شيئا له وجاهته ، فاتهامهم له بالسرقة ظاهر الضعف وادعاء بعضهم بأن المتنبي كيف علم بأن الجن أحسن مظهرا ، وقد تكفل صاحب تحرير التحبير بالرد عليه فذكر أن العرب شبهوا كل من راعهم حسنه بالجن ، وتبعهم المتنبي فقال: لجنية أم غادة رفع السجف [2] وذكر الواحدي أن العرب إذا بالغت في مدح الشيء جعلته من الجن كقول الشاعر:

جنـيـة أولـهـا جـن يـعـلـمـهـا رمىٰ القلوب بقوس ما لها وتر.

هذا في الحسن وكذلك في الشجاعة والحذق بالأشياء وفي كل شيء [3]

---

(١)الإبانة عن سرقات المتنبي لفظا ومعنىٰ . العميدي . ص ١٥٠ .

(٢) ينظر : تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ابن أبي الإصبع العدواني . ص ١٣٦ وما بعدها ت . د/ حفني محمد شرف . المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي .

(٣) شرح الواحدي ج ٢ ص ٥٢٨.

فالبيت سلم من كل مطعن وقد اشتمل علىٰ محسن بديعي هو تجاهل العارف فالمتنبي يسأل عما يعلمه حقيقة تجاهلاً منه لقصد التعجب من جمال محبوبته ، ورفع الستر فجأة مهد به المتنبي لهذه الحيرة والدهشة ، فكأن جمالها الأخاذ سلبه عقله ، فانتقل في بيت واحد بين ثلاثة عوالم فبدأ بعالم الجن لأنه لم يعهد جمالها بين البشر فالاستعارة التصريحية أظهرت روعة الجمال وقربته من النفوس بما وقع في وهم الناس عن جمال الجنيات وحسنهن الأخاذ ، ثم انتقل إلىٰ عالم الأناسي فجعلها غادة وهي اللَّينة من النِّساء والرَّقيقة النَّاعمة ، وكل ذلك لم يشف ما بداخله فلعل عالم الحيوان يجد فيه بغيته فاستعار لها ظبية وحشية أو بقرة وحشية ، ثم عاد فنفي ذلك إذ كيف للوحشية أن يكون لها شنف ؟! ليبقىٰ المتنبي في دنيا جماله الحائر ، ويبقينا من بعده حائرين في جنس محبوبته .

فالمطلع بديع خلاب وهو مناسب لغرض قصيدة المدح .

يقول المتنبي :

٨ – بَقائي شـاءَ لَيسَ هُمُ ارْتِحالا وحُسْنَ الصّبر زَمّوا لا الجمالا[١]

هذا البيت مطلع قصيدة يمدح فيها المتنبي بدر بن عمار .

معنى البيت :

إن الأحبة لم يرتحلوا بل رحلت حياتي برحيلهم ، ولم يزموا إبلهم استعدادا للرحيل بل زموا حسن صبره معهم.

البيت في التراث النقدي :

ذكر هذا المطلع القاضي الجرجاني في جملة أبيات ذكر أن بعض النقاد استبردوها ولم يغفروها له [٢]

وعابه ابن وكيع زاعما أن صدرالبيت بين التكلف ظاهر التعجرف وأن المتنبي أخذه من أبي تمام في قوله :

قالوا الرحيلُ فما شـككتْ بأنها رُوحي عن الـدنيـا تريـدُ رحيلا

وجعل ابن وكيع هذا الأخذ من باب نقل اللفظ العذب إلىٰ المستكره الصعب [٣]

والثعالبي يجعل البيت من الابتداءات البشعة [٤]

وعاب يوسف البديعي هذا المطلع وجعله من الابتداءات البشعة التي تنكرها بديهة السماع[٥]

---

(١) البيت في الصناعتين ص ٤٥٦، وفي ديوان المتنبي ص ١٣٩ .

(٢) الوساطة ص ١٥٦ .

(٣)المنصف للسارق والمسروق منه ص ٦١٦.

(٤) يتيمة الدهر ج١ ص ١٨٤ .

(٥)الصبح المنبي ج ٢ ص ٣٨ .

رأي البحث :

أرىٰ أن البيت لا عيب فيه خاصة أن من عابوه أصدروا أحكاما عامة ولم يوقفنا أحدهم علىٰ العيب الذي اخترم البيت ، اللهم إلا ابن وكيع الذي ذكر أن صدر المطلع (بقائي شاء ليس هم ارتحالا) بيّن التكلف وأن المتنبي لم يحسن أخذه من أبي تمام وأرىٰ أن المتنبي أخذ المعنىٰ وأربىٰ عليه ، فأبوتمام رأىٰ في رحيل محبوبته رحيل روحه عن الدنيا ، أما المتنبي فجعل عمره وحياته وصبره مرتحلا برحيل الأحبة وصاغ ذلك صياغة عالية فقوله (بقائي.....) جملة اسمية مؤكدة للمعنىٰ بنيت علىٰ التشويق ومداعبة النفس ، فقوله : (بقائي شاء ....) يجعل النفس متلهفة لمفعول المشيئة ، ولا يذكره المتنبي إلا بعد أن يبين وقع الرحيل علىٰ نفسه فنفي عنهم الرحيل مع أنهم رحلوا لأنه أراد أن يذكر أن رحيلهم لا يعد رحيلا بجانب وقع هذا الرحيل علىٰ نفسه وأنهم لم يزموا إبلهم شأن الراحلين وإنما زموا صبري الذي ارتحل برحيلهم وهذا البيان يظهر ضعف ما ذكره أبوالعلاء في تفسيره للبيت يقول : (بقائي شاء أي : أراد أن يرتحل عني، وهم لم يشاءوا الرّحيل، وهذه دعوىٰ، لأنهم قد شاءوا الرحيل لا محالة، وادّعىٰ أنهم زمّوا حسن الصّبر. . . ولم يزمّوا الإبل، وتلك دعوىٰ ليست بالصّحيحة، لأن أصحاب الإبل، إذا ارتحلوا فلا بدّ من الأزمّة) وقد رد عليه صاحب المآخذ علىٰ شراح الديوان فقال : " أعجب من الشّيخ!(يقصد أبا العلاء) كيف ينكر علىٰ أبي الطّيب مثل هذا، مع اطّلاعه علىٰ أشعار العرب وكلامها، وما فيه من الإغراق في المبالغة، والتّوسع في الاستعارة، وهذا كما يقال: ما مات كعب، ولكن ماتت السّماحة، وما زال قسّ، ولكن زالت الفصاحة، وإن كان كعب قد وقع

فيه الموت، وقسّ منه الزوال، ومنه قوله تعالىٰ: (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمىٰ) الأنفال ١٧ ، وقول عبده بن الطّيب: (الطويل)

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنّه بنيان قوم تهدّما" [١]

فالمتنبي يَقُول لما رحلوا إِنَّمَا ارتحل بقائي فَكَأَن بقائي شَاءَ ارتحالا لَا هم شاءوه وَكَأَنَّهُم زموا صبري للسير لأجمالهم لِأَنِّي فقدت الصَّبْر لما ارتحلوا وإِنَّمَا نفي الارتحال عَنْهُم لِأَن ارتحال بَقَائِهِ أهم وَأعظم فَكَأَن ارتحالهم عِنْد ارتحال بَقَائِهِ لَيْسَ ارتحالا لأَنهم رُبمَا عَادوا والبقاء إِذا ارتحل لم يعد ومسير صبره أعظم من مسير الْجمال فَلم يعْتد بسير جمَالهمْ مَعَ سير صبره [٢]

والبيت بني علىٰ التصوير الاستعاري فقد جعل للبقاء مشيئة فأدخله في دنيا الحياة علىٰ سبيل الاستعارة المكنية التي جعلت من هذا البقاء شخصا قادرا له مشيئة وإرادة ، وفي زمهم للصبر استعارة أخرىٰ فكأن الصبر فارق جسد المتنبي وأصبح ماثلا و مجسدا أمامهم ، فأخذوه معهم فالاستعارة المكنية عملت علىٰ تجسيد الصبر وإظهار المعنىٰ في صورة محسوسة مشاهدة بالعين وهذا أقوىٰ تأثيرا وتمكينا للمعنىٰ في النفوس .

وقد جاءت الأبيات بعد هذا المطلع لتؤكد علىٰ الأثر القاتل لرحيل الأحبة

---

(١) المآخذ علىٰ شُرّاح ديوان أبي الطَّيب المُتَنَبِّي . أبوالعباس المهلبي ج٢ ص ١٤٠ . ت . د/ عبد العزيز بن ناصر المانع . مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض . ط الثانية . ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

(٢) ينظر: شرح العكبري ج ٣ ص ٢٢٣.

يقول المتنبي :

تَـوَلّـوْا بَـغْـتَـةً فَـكَـأنّ بَـيْـنـًا تَـهَـيّـبَـني فَـفـاجـأني اغْـتِـيـالا[1]

فهذا الفراق المفاجيء كان سببا في اغتياله ، وإذا كانت العيس تمشي بهم ذميلا وهو المشي المتوسط فإن دمعي كان له شأن آخر فقد انهمل وانصب انصبابا:

فكـانَ مَسـيرُ عيسِـهِمِ ذَميلاً وسَـيْرُ الـدّمْعِ إثْرَهُمُ انهِمـالا[2]

فدمعه المنسكب انهمر إثر رحيلهم حتىٰ كأن مناخ هذه العيس كان فوق أجفانه فلما ارتحلت سالت الدموع يقول المتنبي:

كـأنّ العِيسَ كـانَـتْ فَوْقَ جفني مُنـاخـاتٍ فَلَمّـا ثُرْنَ سَـالا[3]

فالمتنبي يربط ويوثق بين ارتحال الأحبة والأثر السريع القاسي لهذا الارتحال

وهذه القصيدة اشتملت علىٰ عيون أشعاره التي استشهد بها علماء البلاغة في أبواب شتىٰ من مثل قوله :

بَـدَتْ قَمَراً ومـالَـتْ خُوطَ بـانٍ وفـاحَـتْ عَنْبَراً ورَنَـت غَزالا[4]

---

(١) الديوان ص ١٣٩ .

(٢) الديوان ص ١٣٩ .

(٣) السابق والصفحة .

(٤) السابق ص ١٤٠ .

وقوله :

أرَىٰ الـمُتَشــاعِرينَ غَرُوا بـذَمّي ومَن ذا يَحمَـدُ الـدّاءَ العُضــالا

ومَـنْ يَـكُ ذا فَـمٍ مُـرٍّ مَـرِيـضٍ يَـجِـدْ مُـرّاً بـهِ الـمَـاءَ الـزُّلالا[1]

وفي هذين البيتين أبلغ رد علىٰ كل من كان همه آناء الليل وأطراف النهار النيل من الرجل وشاعريته وهدمه والحط من شأنه .

(١) الديوان ص ١٤١.

يقول المتنبي :

٩- فِي الخَدّ أنْ عَزَمَ الخَليطُ مَطَرٌ تَزيدُ بهِ الخُدودُ مُحُولا [١]

وهذا البيت مطلع قصيدة يمدح فيها المتنبي بدر بن عمار .

معنى البيت :

يعزم الحبيب علىٰ الرحيل فينهمر الدمع علىٰ الخدود النضرة فتضيع نضرتها ويزداد ذبولها وكل ذلك من أجل فراق الحبيب واستعداده للرحيل .

البيت في التراث النقدي :

في نقد أبي هلال لهذا المطلع ينقل رأي الصاحب بن عباد فيقول : "وقال إسمعيل بن عباد: لعمرىٰ إن المحول في الخدود من البديع المردود"[٢] فقد ذكر الصاحب أن المطلع اشتمل علىٰ استعارة لا يرضاها عاقل ولا يلتفت إليها فاضل وعلل ذلك بأن المحول في الخدود من البديع المردود ثم خلص الصاحب إلىٰ أن هذا الابتداء في القصيدة به من النفور بحيث تضيق عنه الصدور[٣]

وذكر ابن وكيع أن المتنبي أخذ المعنىٰ من غيره من قول أحدهم :

وقفنا فأمطرنا سماء دموعنا جفونَ عيون والبقاعُ صدود

وقول أبي تمام:

مطرٌ من العبرات خدّي أرضُهُ حتىٰ الصباح ومُقْلتايَ سماؤُهُ

(١)البيت في الصناعتين ص ٤٥٦، وفي ديوان المتنبي ص١٤٤.

(٢) ينظر : الصناعتين ص ٤٥٦.

(٣) ينظر : الكشف عن مساوي شعر المتنبي. الصاحب بن عباد. ص ٥٩.

وذكر أن هذين البيتين قد وفيا حقهما من الصنعة ؛ لأن شاعريهما لما سميا الدموع أبانا عن المطر وعما يقتضيه ذكره من سماء أو أرض وما يقع عليه ، وأبو الطيب ذكر الخد والمطر بغير شرح ، فلولا ما أتبعه مما يخالف عادة المطر من المحول الذي أغرب به وخرج عن فعل المطر ؛ إذ المطر يفعل الخصب وأنواع الرياض لكان كلامه فارغًا وهو علىٰ ذلك ناقص الكلام عن من أخذ عنه فيهما، فهما بما قالاه أحق منه[1] .

ومع أن ابن وكيع يسلم للمتنبي بالجدة والابتكار إلا أن هواه يمنعه من استحسان بيت المتنبي والحكم بتفوقه علىٰ غيره وكان يكفي لهذا الحكم قول ابن وكيع أن المتنبي أغرب وخرج عن فعل المطر .

واستشهد ابن الأثيروالعلوي صاحب الطراز بهذا البيت في باب الاستعارة مستحسنين له [2]

رأي البحث :

البيت لا عيب فيه بل ما أخذه عليه الصاحب وتبعه فيه أبوهلال هو عين الإبداع وعنوان التفوق ، و كلام الصاحب وأبي هلال لا يستقيم ولا يقوم علىٰ دليل ، والأمر كما قال ابن فورجة وهو يفند رأي الصاحب فقال :" فأي علم أفادنا بما قال غير هذا الكلام المسجوع الذي ماله مرجوع. بل ليت شعري أي شيء أنكر وما الذي نقم. والمحول للخدود مستعار. كما إن المظر للدمع

(١) ينظر : المنصف للسارق والمسروق منه ابن وكيع ص ٦٣٨ وما بعدها .

(٢)ينظر : المثل السائرج٢ ص ٨٥ ، و الطرازج ١ ص ١١٨ .

مستعار. فأي نفور في هذا الابتداء الذي لم يخله من لفظ رائع. ومعنىً مبتدع، وصنعة محكمة"[1]

إنه المتنبي المبدع المبتكر الذي يفاجئك بالمعنىٰ ويبهرك بالصورة ؛ لأنها ليست صورة نمطية معهودة ، إن المتنبي يبين أثر الفراق علىٰ نفسه وكيف ينهمر الدمع علىٰ خده ومبالغة في كثرة الدمع استعار له (مطر) وكان تنكير المطر ليمهد لبيان هذا المطر فهو ليس كأي مطر يأتي منه الخصب والنماء والحياة ، إنما هو مطر يأخذ النضارة ويزيد الذبول والشحوب ، إنه أشبه بإعصار يأخذ في طريقه كل شيء، والاستعارة التصرحية هنا مطلقة ، فالدموع يلائمها الخد والمطر يلائمه المحول ، ولا أدري كيف جعل الصاحب وأبوهلال المحول في الخدود من البديع المردود ؟!

فهذا المطلع بالغ الحسن في صياغته ومعانيه وهو مناسب لقصيدة المدح .

(١) الفتح علىٰ أبي الفتح ص ٢٥٥ .

يقول المتنبي :

١٠- نُهَنَّىٰ بصُــورٍ أمْ نُهَنِّئُهَا بِكَا وقَلّ الذي صُـورٌ وأنْتَ لَهُ لَكَا[١]

هذا البيت مطلع قصيدة يمدح فيها المتنبي بدر بن عمار ويهنئه بإضافة ابن رائق الساحل إلىٰ أعماله .

معنى البيت :

نهنئك بهذه المدينة ، أم نهني هذه المدينة بك وهذا قليل بالنسبة إلىٰ ما تستحقه .

البيت في التراث النقدي :

عاب أبوهلال المطلع السابق وذكره القاضي الجرجاني في باب السرقات وأن المتنبي أخذه من قول أشجع:

إنّ خُـراســان وإنْ أصــبـحَـتْ ترفَعُ من ذي الـهـمّـةِ الشّــانـا

لـم يـحْـبُ هـارونُ بـهـا جـعْـفَـراً لـكـنّـه حـابَـىٰ خُـراســانـا [٢]

وذكر ابن وكيع أن بيت المتنبي يشبه قول إبراهيم بن العباس:

أنــهــنــيــكَ بــطــوس أم نُـهـنـي بـك طـوســا

أصــبـحـتْ بـعـد طـلاق بـك يـا فضــلُ عـروســا [٣]

ولم يزد أحد من أهل العلم علىٰ ذلك .

---

(١) البيت في الصناعتين ص ٤٥٦، وفي ديوان المتنبي ص١٤٨

(٢) الوساطة ص ٣٧٩.

(٣) المنصف للسارق والمسروق منه ص ٦٤٩.

رأي البحث :

لم يذكر أبوهلال – كعادته – السبب الذي من أجله عاب البيت وأرىٰ أن المطلع اشتمل علىٰ عيب في الصياغة ، وذلك في المصراع الثاني : (وقَلّ الذي صُورٌ وأنْتَ لَهُ لَكَا) ففيه من التعقيد اللفظي ما استوجب اليازجي لإعادة صياغته من جديد فقال : " و(صور) في الشطر الثاني مبتدأ ، و(أنت) معطوف عليها و(له) خبر والضمير للموصول ، و(لك) متعلق بـــ(قل) وتحرير العبارة : وقل لك الذي صور له ، وأنت له أي أنت من أصحابه يعني ابن رائق ، كأنه يريد أن يقول : لو كنت أنت ابن رائق أي لو كنت في منزلته وملكه لكان ذلك قليلا بالنسبة إلىٰ ما تستحقه "[1]

فالمتنبي قدم وأخر وفصل ، حتىٰ استغلق المعنىٰ وصعب فهمه ، والأخذ برواية العكبري تبريء المطلع من التعقيد اللفظي إذ جاءت علىٰ هذا النحو :

نُهَنَّىٰ بصُورٍ أمْ نُهَنّئُهَا بِكَا وقَل للذي صُورٌ وأنْتَ لَهُ لَكَا

والمعنىٰ علىٰ ذلك : قل لصاحب صور وهو ابن رائق الذي أنت في الظاهر له ومن أصحابه هو لك .[2]

(١) العرف الطيب ج ١ ص ١٧١ .

(٢) ينظر : شرح العكبري ج٢ ص ٣٨٢ .

يقول المتنبي :

١١- عَذيري مِنْ عَذارَىٰ من أُمورِ سَـكَنّ جَوانحي بَدَلَ الخُدورِ [١]

هذا البيت مطلع قصيدة يصف فيها سيره في البوادي وما لقي في أسفاره، ويذم الأعور بن كروس بعد أن رجع من جبل جرش .

معنى البيت :

يقول : من يعذرني من خطوب أبكار لم تصب أحدا قبلي ، هذه الأمور اتخذت أضلاعي وقلبي مسكنا كما تسكن العذارىٰ خدورهن .

البيت في التراث النقدي :

عاب أبوهلال المطلع السابق و ذكر هذا المطلع ابن وكيع ولم يعبه ، بل لم يزد علىٰ بيان معناه فقال : " معنىٰ البيت من عذيري من إنكار خطوب سكن جوانحي بدل خدورهن علىٰ وجه الاستعارة لما جعلها أبكارا جعل لها خدورا"[٢]

رأي البحث :

والمطلع لا أجد فيه عيبا بل هو يتناغم مع شخصية المتنبي والجو العام للقصيدة ، فقد أراد أن يظهر مدىٰ قوته وتحمله لعظام الأمور التي جعلها أبكارا ؛ لأنها لم تهجم علىٰ أحد قبله وفي استعارته (العذارىٰ) للأمور العظيمة أسرار بلاغية إذ أفادت أن هذه الأمور لم يعرفها أحد قبله ولم يطلبها أحد لصعوبتها ، كما أن فيها معنىٰ الاستمتاع والتلذذ بمواجهة هذه الخطوب

(١)البيت في الصناعتين ص ٤٥٦، وفي ديوان المتنبي ص١٦٨ .

(٢)المنصف للسارق والمسروق منه .ص ٦٩١ .

والمطلع مناسب لكل ما جاء في القصيدة من ألم وشكاية فهو لا يستقر به حال ، تارة في البوادي وأخرىٰ مرتحلا يقول المتنبي :

أوانا في بيوت البدو رحلي وآونةً علىٰ قتد البعير

وهو يتلقىٰ رماح أعدائه بنحره وينصب وجهه للحر الشديد يقول المتنبي

أعرض للرماح الصم نحري وأنصب حر وجهي للهجير

وهو يمضي في ظلمة الليل وحده غير هياب ، ليس له فيه نور إلا وجهه يقول المتنبي :

وأسرىٰ في ظلام الليل وحدي كأني منه في قمرٍ منيرِ

وهو يطلب الأمن والسلامة حتىٰ لو حسده الناس علىٰ أي شيء نفيس لأعطاه لهم ، لكن كيف العمل إذا حسدوه علىٰ حياته ؟ يقول المتنبي :

فلو أني حسدت علىٰ نفيسٍ لجدت به لذا الجد العثورِ

ولكني حسدت علىٰ حياتي وما خير الحياة بلا سرور

فالقصيدة كلها تفسير وشرح وبيان لهذا المطلع الذي ترد كل أجزاء القصيدة إليه .

يقول المتنبي :

١٢- سِـرْبٌ مَحاسِـنُهُ حُرِمتُ داني الصّفاتِ بَعيدُ مَوْصوفاتِهَا[١]

هذا البيت مطلع قصيدة يمدح فيها المتنبي أبا أيوب أحمد بن عمران.

معنى البيت :

يقول: هذا سرب حرمت ذوات محاسنه الحسان منه. وهذا السرب صفاته دانية قريبة هي مني؛ لأنها ألفاظ أنا قادر عليها، فمتىٰ شئت وصفتها. فأما الموصوف بالحسن، فبعيد عني، وهن: النساء المعبر عنهن بالسرب.[٢]

البيت في التراث النقدي :

عاب أبوهلال المطلع السابق وذكر هذا المطلع القاضي الجرجاني في جملة أبيات ذكر أن بعض النقاد استبردوها ولم يغفروها له[٣]

وذكر ابن وكيع أن المطلع فيه لحن عند سيبويه وجميع البصريين ؛ لأنهم لا يجيزون إضافة(ذو) وأخواتها إلىٰ المضمر لأنهم لا يجيزون: ضربت ذاه يريدون صواحبه وذكر ابن وكيع أن معنىٰ المطلع من قول إبراهيم بن العباس:

بعيد الدار موصو لاً بقلبي ولساني

ربما أبعدك الد هر فنادتك الأماني[٤]

---

(١)البيت في الصناعتين ص ٤٥٦، وفي ديوان المتنبي ص ١٨٥.

(٢)ينظر : شرح المعري ج ٢ ص ٣٠٥.

(٣) الوساطة ص ١٥٦ .

(٤)ينظر : المنصف للسارق والمسروق منه ص ٧٠٦ وما بعدها.

وابن سنان يذكر المطلع في جملة أبيات أوضح أن المعنىٰ فيها لا يخرج إلا بطرف من الفكر ، ويعيبها ابن سنان ويجعل ذلك من قبيل التوعر في الكلام المسلم إلىٰ التعقيد[١]

وابن حجة الحموي يستملح المطلع ويراه في غاية الحسن والغرابة يقول – رحمه الله – : " معنىٰ هذا المطلع في غاية الحسن والغرابة، فإنه يقول هذا سرب حيل بيني وبين كل حسناء منه، وهذه الحسناء صفاتها دانية عند ذكرها بالقول، ولكن ذاتها الموصوفة بعيدة"[٢]

رأي البحث :

تكامل للمطلع أسباب الحسن والجمال ، واللحن الذي ذكره بعض أهل العلم أجازه أبوالعباس المبرد وغيره [٣] والمتنبي كان يميل إلىٰ الإغراب والشذوذ إعلانا منه علىٰ تمكنه من ناصية اللغة والمتنبي كان "عالِمًا بالنحو ومشاكله، وكان كوفي المذهب، فنقل كثيرًا من التراكيب الشاذة التي روتها الكوفة وخالفت بها علىٰ البصرة، واعتمدها في صنع قصائده"[٤]

وإن كانت فكرة قرب المحبوبة من جهة وبعدها من جهة أخرىٰ حاضرة عند الشعراء إلا أن تناول المتنبي متفرد وله خصوصيته فقد شبه النساء الجميلات بـ(سرب) وهو القطيع من الظباء وهذا يدل علىٰ الاستواء

(١) ينظر : سر الفصاحة ابن سنان الخفاجي ص ٢٢٨وما بعدها .

(٢)خزانة الأدب وغاية الأرب . ابن حجة الحموي. ج١ ص ٣٣٢.

(٣) ينظر : شرح الواحدي ج ٣ص ٨١٦ .

(٤) الفن ومذاهبه في الشعر العربي . د/ شوقي ضيف . ص ٣٣٦.

في المنزلة والقدر والجمال و(سرب) خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هواي سرب حرمت ذوات محاسنه)[1] ولعل السر في حذف المسند إليه راجع إلىٰ التعجيل بذكر ما تهواه نفسه ويسر قلبه وهو الحديث عن النساء .

وهذا السرب وصفه قريب منه ، وهو صاحب البيان الساحر ومع ذلك فهو بعيد عني بذاته لا أستطيع النيل منه ، وبذلك يكون الطباق بين (داني) و(بعيد) قد أظهر معاناة الشاعر وألمه ، تلك المعاناة التي صاحبته في كل أجزاء القصيدة ، وإذا كان قد شبه النساء بسرب حرم منه فقد شبههن بشجر لكنه لم يجن من هذا الشجر إلا الموت يقول المتنبي :

وكـأنّهـا شَــجَرٌ بَـدَتْ لَكِـنّهَـا شَــجَرٌ جَنَيتُ الموْتَ من ثمَراتِهَا

وهو يدعو علىٰ الإبل بعدم السير ويذكر أنه لوكان فوقها لمحت دموعه من غزارتها وقوتها آثار الوسم علىٰ جلودها

لا سِــرْتِ مِن إبـلٍ لوَانّي فَوْقَهـا لمَحَتْ حرارَةُ مَدمَعيّ سِــماتِهَا

فقد لف المطلع ومقدمة القصيدة معاناة شديدة وآلام قوية وكل ذلك ليخلص إلىٰ مدح الممدوح .

(١) شرح ابن جني ج١ ص ٦٥٨ .

يقول المتنبي :

١٣- أيـا لائمىٰ إن كنـت وقـت علمت بما بىٰ بين تلك المعالم[١]

هذا البيت مطلع قصيدة مدح فيها المتنبي الأمير أبا محمد الحسن بن عبيدالله بن طغج بالرملة .

معنى البيت :

قَالَ الواحدي : "لما وقف بالديار أَصَابَهُ من الوجد والدهش لفرقتهم مَا أذهب عقله حَتَّىٰ لم يشْعر بِمَا جرىٰ عَلَيْهِ من الْجزع والبكاء وَالْمعْنَىٰ إِن كنت حِين يلومني اللوام علىٰ فرط جُرْمِي علمت مَا بِي وَمَا الَّذِي دهاني هُنَاكَ فَأَنا لائمي أَي فقد لمت نَفسِي فِي قُصُور محبتي لِأَن ثبات علمي وعقلي فِي دِيَارهمْ دَلِيل أَن هواي قَاصِر"[٢]

البيت في التراث النقدي :

لم يعب المطلع السابق إلا أبوهلال .

رأي البحث :

دلالة البيت مضطربة غير واضحة ؛ ولذلك اختلف شراح الديوان في الوقوف علىٰ حقيقة المعنىٰ ، حتىٰ قال أبو القاسم الأصفهاني تعليقا علىٰ شراح الديوان أن معنىٰ البيت بحاله مستور[٣] ورواية الديوان (أنا لائمي ...) وكذلك عند شراح الديوان ولم تثبت (أيا) إلا عند أبي هلال العسكري

(١)البيت في الصناعتين ص ٤٥٦، وفي ديوان المتنبي ص٢٠٩.

(٢) شرح الواحدي ج ٣ص ٩٠٦ .

(٣)ينظر : الواضح في مشكلات شعر المتنبي . أبو القاسم الأصبهاني . ص ٢٠ .

والبغدادي صاحب خزانة الأدب والمعنىٰ أكثر اضطرابا وتعقيدا في رواية (أنا) .

ويغفر للمتنبي أن هذه القصيدة قالها في بدايات حياته فقد روىٰ صاحب خزانة الأدب عن أبي الحسن الطرائفي قوله : سمعت المتنبي يقول : أول شعر قلته وابيضت أيامي بعده قولي:

أيا لائمي إن كنت وقت اللوائم علمت بما بي بين تلك المعالم .

فإني أعطيت بها بدمشق مائة دينار.[1]

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب . عبد القادر بن عمر البغدادي . ج٢ ص ٣٠٩. ت . أ/ محمد نبيل طريفي . و أ / اميل بديع اليعقوب. دار الكتب العلمية . بيروت . ط ١٩٩٨م .

يقول المتنبي :

١٤- وَوَقتٍ وَفي بِالدَهرِ لي عِندَ وَفي لي بِأَهليهِ وَزادَ كَثيرا[1]

هذا البيت مطلع مقطوعة لا تتجاوز ثلاثة أبيات مدح فيها المتنبي الأمير أبا محمد الحسن بن عبيدالله بن طغج بالرملة .

معنى البيت :

يريد أن وقتي عنده يفي بجميع الزمان ، كما أن الممدوح يفي بكل إنسان[2]

البيت في التراث النقدي:

لم أقف علىٰ هذا المطلع في كتب التراث النقدي .

رأي البحث :

لا أرىٰ في المطلع عيبا فقد أراد أن يبين رغد العيش وجلاله وكماله أثناء فترة مكثه عند الممدوح ، فوقته عند الممدوح يفي بجميع الزمان كما أن الممدوح يفي بكل إنسان ، فوقته مع الممدوح مهما قصر في حكم الدهر كله ولم لا وقد وفي الممدوح لي بأهل الدهر وزاد علىٰ ذلك.

وقد فصل هذا المعنىٰ وبنا جانبا من عيشه في كنفه فقال :

شربت علىٰ استحسان ضوء وزهر ترىٰ للماء فيه خريرا

فقد شرب المدام مع الممدوح مستأنسا بنور جبهة الممدوح ، ومستمتعا بالزهور التىٰ تترقرق عليها قطرات الماء النازلة فتعطي صوتا محبوبا تستحسنه الآذان ، وبذلك استكمل جمال العين وجمال الأذن وجمال الطعم.

---

(١)البيت في الصناعتين ص ٤٥٧، وفي ديوان المتنبي ص ٢١٥.

(٢) شرح الواحدي ج ٢ص٤ ٩٢.

وتأكيدا علىٰ أن الوقت في كنف الممدوح هو رغد الدهر كله وأن الممدوح يعدل الناس كلهم ، قال :

غـدا النـاس مثليهم بـه لا عـدمتـه وأصـــبح دهـري في ذراه دهورا

يقول: أصبح الناس وقد زادوا به فصاروا مثليهم، وهذا البيت ناصر للبيت الأول؛ لأنه قال: ووقتٍ وفي بالدهر لي عند واحدٍ وفي لي بأهليه؛ أي: كان مثلهم في الغناء والمكارم المحمودة، فلما كان مثل الناس أجمعين صاروا مثليهم. وقوله: وأصبح دهري في ذراه دهورًا: قد زاد في هذا المعنىٰ علىٰ ما ذكره في البيت الأول؛ لأنه جعل الوقت وافيًا بالدهر، وجعل الناس مثليهم بالممدوح، وقد جمع في البيت الآخر الدهر، فبالغ فيه أكثر مما بالغ في الرجل؛ لأن الجمع لا نهاية له في العدد، فالدهور تقع علىٰ ثلاثةٍ فما زاد. وفائدته في طول الدهر أنه ينال فيه من المآرب ما لا يناله في الدهر القصير، ويصيب المسرة، ويدرك الأماني[1].

فالمطلع لا عيب فيه وقد جاء البيتان بعده تفصيل وتأكيد للفكرة التي شغل بها المتنبي .

(١) ينظر : اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي . أبو العلاء أحمد بن عبد الله المعري . ص ٥٠٩ . ت . أ/ محمد سعيد المولوي. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية . ط .الأولىٰ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

يقول المتنبي :

١٥- شَـــديدُ البُعدِ مِن شُـــربِ تُرُنجُ الهِنـدِ أَو طَلعُ النَخيـلِ[١]

هذا مطلع ثلاثة أبيات ارتجلها المتنبي في حضرة سيف الدولة الحمداني .

معنى البيت :

الشمول: الخمر سميت بذلك ؛ لأنها تشمل القوم بريحها، وترنج الهند: النارنج، وطلع النخيل: أول ما ينعقد فيه من ثمرته، وتنشق عنه أغشيته، فيسمىٰ ذلك العقد حينئذ طلعًا، وتسمىٰ الأغشية المنشقة كافوراً ، فيقول لسيف الدولة: ترنج الهند، وهو النارنج، أو طلع النخيل، شديد بعدهما في مجلسك عن شرب الشمول، وإن كان غيرك يتخذهما لذلك؛ لأن هذه الحال غير مظنونة بك، وإنما استحضارك لهما ولما يشاكلهما من الرياحين استمتاعًا بحسن ذلك، لا مخالفة فيه إلىٰ ما يكره، واستجازة لما لا يحسن.[٢]

البيت في التراث النقدي :

عاب هذا المطلع الصاحب بن عباد فقال ساخرا :"ومن بدائهه الظريفة عند متعلقي حبله ؛ وفواتحه البديعة عند ساكني ظله قوله:

شـديد البعد من شـرب الشـمول ترنج الهنـد أو طلع النخيـل

فلا أدري استهلال الأبيات أحسن؛ أم المعنىٰ أبدع؛ أم قوله (ترنج) أفصح؟"[٣]

---

(١)البيت في الصناعتين ص ٤٥٧، وفي ديوان المتنبي ص ٣٤٣.

(٢) ينظر : شَرْح الديوان . الإفليلي . ج٢ ص٨٩ .

(٣)الكشف عن مساوي شعر المتنبي . الصاحب بن عباد . ص ٥٤ .

وذكر هذا المطلع القاضي الجرجاني في جملة أبيات ذكر أن العلماء عابوها علىٰ المتنبي ؛ لأن المعروف من العرب الأترُج والترُنْج مما يغلط به العامة [١].

وعابه الثعالبي بمثل ذلك ونقل تهكم الصاحب علىٰ هذا المطلع [٢]

وعاب المطلع صاحب الصبح المنبي وقرر أن المطلع من تعسفات أبي الطيب ؛ لأن المعروف عند العرب الأترج، والترنج مما يغلط فيه العامة[٣]

رأي البحث :

من تعسفات النقاد أن يعيبوا المطلع ؛ لمجرد استخدام (ترنج) ، وقد جاء في مختار الصحاح (الْأُتْرُجَّةُ)و(الْأُتْرُجُّ) بِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَالرَّاءِ وَتَشْدِيدِ الْجِيمِ فِيهِمَا، وَحَكَىٰ أَبُو زَيْدٍ: (تُرُنْجَةٌ) وَ (تُرُنفُجٌ)[٤] وقد دافع أبو الطيب عن هذا الاستخدام فقال :" يقال أترجة وأترج وترنج، حكاها أبو زيد، وذكرهما ابن السّكيت في أدب الكاتب "[٥] فالمتنبي استخدم لغة واردة ، وإذا كان اللفظ منتشرا علىٰ ألسنة العوام وله ما يؤيده في اللغة فلاحرج علىٰ الشاعر في توظيفه في السياق الشعري .

---

(١) الوساطة ص ٤٧٠ .

(٢)يتيمة الدهر ج ١ ص ١٩٣.

(٣)الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ص ٩٦.

(٤) مختار الصحاح مادة (ترج) . زين الدين أبو عبد الله الرازي. ت . أ/ يوسف الشيخ محمد . المكتبة العصرية . بيروت . ط . الخامسة. ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م

(٥)الوساطة ص ٤٧٠ .

ومناسبة الكلام أن المتنبي حضر مجلس سيف الدولة في شوال سنة إحدىٰ وأربعين وثلاثمائة، وبين يديه نارنج وطلع، وهو يمتحن الفرسان، فقال سيف الدولة لابن جش الكاتب: لا تتوهم هذا للشرب ، فقال أبو الطيب ارتجالاً:

شَـديدُ البُعْدِ من شُـرْب الشَّـمُولِ تُرُنْجُ الهِنْـدِ أو طَلْعُ النَّخِيـلِ[1]

وتقدير الكلام: أنت شديد البعد من شرب الشّمول فحذف المبتدأ ثم قال: ترنج الهند، أو طلع النّخيل، ما تصنع به؟ فحذف الخبر لأن قرينة الحال تدلّ عليهما وتقود إليهما[2]

وحذف المبتدأ كما يقول عبدالقاهر يكثر عند ذكر الديار ويطرد كثيرا عند المدح و الفخر والهجاء والرثاء [3] وهذا الحذف له سره وبلاغته ، فقد أراد أن يسارع في إبعاد الظن عن سيف الدولة وأنه لا يشرب في هذا المجلس ، وقد وضح فائدة وضع ترنج الهند وطلع النخيل في مجلس سيف الدولة فقال :

وَلِكـنْ كُـلّ شَـــيءٍ فيـه طِيْـبُ لَـدَيْـك مِن الـدَّقيقِ إلىٰ الجَليـلِ

فاستحضاره للترنج والطلع لأنهما طيبان، وكل طيب في حضرة سيف الدولة غير معدوم مما دق من ذلك إلىٰ ما جل، وما قل من ذلك إلىٰ ما كثر[4]

ويؤكد علىٰ بعده عن الشرب ونحوه بقوله :

ومـيـدان الـفصـــاحـة والـقـوافي وممـتحـن الفوارس والخيـولِ

فهو مشغول بمعالي الأمور فمجلسه لأرباب السيف والقلم ، فالمطلع لا عيب فيه وهو متناسب مع بقية الأبيات .

---

(١)ينظر : شَرْح الديوان . الإفليلي . ج٢ ص٨٩ .

(٢)ينظر : المآخذ علىٰ شُرّاح ديوان أبي الطَّيب المُتَنَبِّي ج٢ ص ١٢٨ .

(٣) دلائل الإعجاز ص ١٧٤ .

(٤) ينظر : شرح الديوان . الإفليلي . ج ٢ ص ٨٩ .

يقول المتنبي :

١٦- أَراعَ كَذا كُلَّ الأنام هُمامُ وَسَحَّ لَهُ رُسلَ المُلوكِ غَمامُ ؟[١]

معنى البيت :

يقول : هل راع ملك جميع الأنام كما أرىٰ من روعك إياهم وهل تقاطرت الرسل علىٰ ملكٍ كما تقاطرت عليك وجعل توالي الرسل إلىٰ حضرته كسح غمام [٢]

البيت في التراث النقدي :

عاب الصاحب بن عباد المطلع السابق وكعادته سخر منه سخرية لاذعة وأصدر حكما بلادليل فقال :

"ومن افتتاحاته التي تفتح طرق الكرب؛ وتغلق أبواب الروح عن القلب قوله:

أراع كذا كل الأنام همام وسح له رسل الملوك غمام

ولو لم يتكلم في الشعر إلا من هو أهله لما سُمع مثل هذا، ولكن الكلام قد جرىٰ فيه مجرىٰ الكلام في سعيد وبلال والخليدية والكثيفية"[٣]

ولم يتابعه في هذا النقد إلا أبوهلال العسكري .

رأي البحث :

عندما نستحضر الموقف الذي قيلت فيه هذه القصيدة ونقف علىٰ السياق الخارجي الذي درجت فيه يظهر مدىٰ إبداع المتنبي وقوة عارضته وذكائه الحاد وبراعة منطقه وسلامة تعبيره ومناسبته للمقام ، فقد ورد علىٰ

(١)البيت في الصناعتين ص ٤٥٧، وفي ديوان المتنبي ص ٣٩٠.

(٢) شرح الواحدي ج ٣ص ٥١٨.

(٣)الكشف عن مساوي شعر المتنبي ص ٥٦.

سيف الدولة فرسان الثغور ومعهم رسول ملك الروم في طلب الهدنة، يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة أربع وأربعين وثلاثمائة فقام أبو الطيب، فأنشده إياها بحضرتهم وقت دخولهم.[1]

فقد انفعل المتنبي بعزة سيف الدولة واقتداره حتىٰ خضعت له رقاب الأعداء وجاؤه صاغرين ، ولذلك لم يمهد لمدحه بالغزل ونحوه ، وإنما باشر المديح مركزا علىٰ الحدث فقال :

أراع كـذا كـل الأنـام هـمـام ؟ وسـح لـه رسـل المليك غمام
ودانت له الدنيا فأصـبح جالسـًا وأيـامـهـا فـيـمـا يـريـد قـيـام
إذا زار سـيف الدولة الروم غازيـًا كـفـاهـا لـمـام لـو كـفـاه لـمـام
فَتَىً يَتْبَعُ الأَزْمَـانُ فِي النَّـاسِ خَطوَةً لِـكُـلَّ زَمـانٍ فِي يَـدَيْـهِ زِمَـامُ
تَنَامُ لَـدَيْـكَ الرُّسْـلُ أَمْنَـًا وغِبْطـةً وأَجْفَـانُ رَبَّ الرُّسْـلِ لَيْسَ تَنَـامُ

وجاء المطلع (أراع كذا كل الأنام همام .....) بصيغة الاستفهام المفيد للتعجب ، وكأن ما قرره من تخويف سيف الدولة لكل الأنام أمر واقع لا مشاحة فيه ، وإنما الاستفهام منصب علىٰ أمر آخر : هل في الوجود ملك راع جميع الأنام كما أرىٰ من روعك إياهم وهل تقاطرت الرسل علىٰ ملكٍ كما تقاطرت عليك ؟

فالمتنبي بالغ في مدح سيف الدولة حتىٰ جعله يفزع ويرعب ليس الأعداء بل كل الأنام ، وفي هذا الإسناد مجاز عقلي علاقته السببية ، فالممدوح سبب قوي وفاعل في إدخال هذا الفزع في قلوب الأنام ، وجاء الشطر الثاني كالنتيجة

(١) ينظر : ديوان المتنبي ص ٣٩٠.

لما قرره في الشطر الأول ، فمن أجل هذا الفزع تخطب ملوك الدنيا وده فتتقاطر عليه طلبا للصلح وقد صور هذا المعنىٰ صورة دقيقة معبرة من خلال التشبيه حيث شبه توالي الرسل إلىٰ حضرته بتقاطر المطر من الغمام ، ووجه الشبه الكثرة وقوة التتابع في كل .

فالمتنبي بريشته الماهرة صور الموقف أتم تصوير وعالج الحدث علىٰ طريقته وخلده .

وجاءت الأبيات كلها تؤكد علىٰ هذا المعنىٰ الذي صوره في المطلع فالدنيا قد انقادت له ، وأطاعه أهلها، وهو جالس، وأيام الدنيا تسعىٰ في مراده، وتقوم له قيام الخدم للمخدوم ، يقول :

ودانت له الدّنيا فأصبح جالسًا وأيّامها فيما يريد قيام

وهو إذا قصد بلاد الروم كفاهم قليل من إيقاعه بهم، ولكنه لا يرضىٰ إلا بالسبي والقتل وأخذ الممالك ، يقول :

إذا زار سيف الدولة الروم غازيًا كفاها لمام لو كفاه لمام

والزمان يتبع حكمه ويتصرف بإرادته، يذل من أذله ويعز من أعزه فكأن زمام الدهر في يده، يقوده كيف شاء، يقول :

فَتَىً يَتْبَعُ الأَزْمَانُ فِي النَّاسِ خَطوَةً لِكُلِّ زَمانٍ فِي يَدَيْهِ زِمَامُ

وإذا وصلت الرسل إليه سكنت نفوسها، ونامت عيونها لجواره، وأجفان الذين يرسلونهم لا تنام خوفًا منه، يقول :

تَنَامُ لَدَيْكَ الرُّسْلُ أَمْنًا وغِبْطةً وأَجْفَانُ رَبَّ الرُّسْلِ لَيْسَ تَنَامُ

فالمطلع في غاية الحسن وكل ما جاء بعده يدور في فلكه ولا أدري كيف ساغ للصاحب وأبي هلال ذمه ؟ !

يقول المتنبي :

١٧- أوهٍ بـديـلٌ من قولتي واهَـا لـمـنْ نـأتْ والبـديـلُ ذكـرَاهَـا[١]

هذا البيت مطلع قصيدة يمدح فيها المتنبي أبا شجاع عضد الدولة بن ركن الدولة وهي أول ما قال فيه سنة أربع وخمسين وثلاث مائة.

معنى البيت :

يَقُول كنت أتعجب من وصالها فصرت أتوجع لفراقها وَصَارَ التأوه بَدَلا من التَّعَجُّب فَصَارَ هَذَا بديلا من ذَاك يُرِيد ذكرىٰ إِيَّاهَا صَار بَدَلا مِنْهَا بعد أَن فارقتني[٢]

البيت في التراث النقدي :

عاب أبوهلال المطلع السابق ، وذكر هذا المطلع صاحب الوساطة في جملة أبيات عابها علىٰ المتنبي بعض العلماء [٣]

وعاب الثعالبي هذا المطلع وذكر أنه برقية العقرب أشبه منه بافتتاح كلام في مخاطبة ملك.[٤]

ويروي ابن سنان أن المتنبي لما أنشد عضد الدولة هذه القصيدة وافتتحها بهذا المطلع :

أوه بـديـل مـن قـولـتـي واهـا لمن نـأت والحـديـث ذكراهـا

(١)البيت في الصناعتين ص ٤٥٧، وفي ديوان المتنبي ص ٥٣٧ .

(٢) شرح العكبري ج٤ ص ٢٧٠.

(٣) الوساطة بين المتنبي وخصومه ص ١٥٥ .

(٤) يتيمة الدهر ج ١ ص١٨٢ .

قال له عضد الدولة : أوه وكيَه [1] وفي رواية أسامة بن منقذ أن عضد الدولة قال له : (أوّه وكيَّه، ويلَكَ ما هذا الكلام ؟)[2]

وعاب المطلع يوسف البديعي ونقل كلام الثعالبي بتمامه [3]

رأي البحث :

بدأ المتنبي قصيدة المديح بالغزل فتحدث عن محبوبته التي كان يعجب من وصالها ، والآن هو يتألم من فراقها وصار التأوه بدلا من التعجب، وقد تركزت مطاعن العلماء في أن الملوك لا يصح ابتداؤهم بهذا التوجع ، وأرىٰ أن معهم الحق في ذلك إذ كيف لملك أن يواجه في أول قصيدة يسمعها من المتنبي بهذه الآهات التي تكررت في المطلع وما بعده :

أوهٍ بديلٌ من قولتي واهَا ... لمنْ نأتْ والبديلُ ذكرَاهَا

أوه من لا أرىٰ محاسنها ... وأصل واها وأوهِ مرآها

فكل هذا مما لا يليق في مخاطبة الملوك ، خاصة أن عضد الدولة كان عالما بالعربية وينظم الشعر ، وأورد له الثعالبي بعضا من أشعاره [4] وملك هذا حاله لا يستغرب منه أن يعيب علىٰ أبي الطيب مطلعه السابق .

---

(١) ينظر : سر الفصاحة ص ١٨٣ .

(٢) ينظر: البديع في نقد الشعر . أسامة بن منقذ . ص ٢٨٦ . ت . د/ أحمد بدوي وآخرين . مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية . الرياض ط . الثانية . ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

(٣)الصبح المنبي ج ٢ ص١٦ .

(٤) يتيمة الدهر ج١ ص ٢٢٩ .

الخاتمة :

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله محمد بن عبدالله ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلىٰ آله وصحبه وعلىٰ كل من سار علىٰ هديه إلىٰ يوم الدين اللهم آمين .

وبعد :

فبعد هذه السياحة النقدية ظهر جليا تحامل أبي هلال العسكري علىٰ أبي الطيب وبنظرة شاملة علىٰ ما استشهد به أبوهلال من شعر المتنبي يتبين الآتي:

١- لم يعط أبوهلال شعر المتنبي حقه وقدره علىٰ الرغم من أن العسكري أكثر من التمثيل في الصناعتين إلىٰ درجة جعلت كتابه من أهم كتب البلاغة التطبيقية ، إلا أن أباهلال ظلم الصناعتين ظلما بينا حين أعطىٰ ظهره لشعر المتنبي ولم يوظفه التوظيف اللائق به ، فلم يستشهد أبوهلال من شعر المتنبي إلا بتسع وعشرين بيتا بعد عدم احتساب المكرر ، في حين أكثر من الاستشهاد بشعر البحتري وأبي تمام وابن الرومي وشعره هو .

٢- لم يتمثل بمقطوعات من شعر المتنبي بل البيت مفردا ، في حين أورد مقطوعات وقصائد لغيره من الشعراء ، وهذا الاجتزاء أثر علىٰ أحكام أبي هلال النقدية .

٣- جاءت كل الأبيات في معرض الاستهجان عدا بيتا واحدا استشهد به أبوهلال علىٰ المضاعفة ولم يتوقف معه، ومطلعا واحدا استحسنه ، وظهرت الانتقائية الشديدة في اختيار الأشعار التي تستهجن عند أبي الطيب المتنبي ، خاصة في اختيار مطالع قصائده .

٤- تركزت معظم النقدات في الصناعتين حول الألفاظ والمعاني والمطالع .

٥- لم يذكر أبوهلال المتنبي في الصناعتين باسمه إلا ثلاث مرات ، في حين كان يذكره بقوله : (قال بعض المتأخرين) ، (قول الآخر) ، (قال من هو في زماننا) وذلك تحقيرا لشأنه وإهمالا لذكره.

٦- اشترك أبو هلال مع بعض أعلام التراث في نقد عدة أبيات لأبي الطيب ، وانفرد أبوهلال بأبيات أخرىٰ لم يذكرها غيره .

٧- شايع أبوهلال الصاحب بن عباد في كل نقداته لأبي الطيب وظهر تأثره بأسلوبه الساخر اللاذع المجانب للموضوعية والإنصاف .

٨- ظهر تحامل أبي هلال الشديد علىٰ أبي الطيب وكان نقده له لاذعا ، حتىٰ زعم أبوهلال أن المتنبي كان يتتبّع العيوب فيأتيها غير مكترث ، وأنه ضمّن شعره جميع عيوب الكلام ما أعدمه شيئًا منها ، وكان جليا تأثره بالصاحب بن عباد في ذلك .

٩- كان شديدا في نقده لمطالع أبي الطيب ، فقد تحدث عنها بأسلوب يحمل قدرا هائلا من التهكم ، فهي ابتداءات المصائب وفراق الحبايب ، وهي ابتداءات لا خلاق لها ، وهذه أحكام نقدية عامة تحمل في تضاعيفها عوامل هدمها .

والله أسأل القبول والسداد والعفو عن الزلل ، اللهم آمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

قائمة المصادر والمراجع

- أبوالطيب المتنبي .حياته وخلقه وشعره وأسلوبه . د/ محمد كمال حلمي.مطبعة الشباب . القاهرة . ط ١٣٣٩هـ . ١٩٢١م.
- أبو الطيب المتنبي وما له وما عليه . أبو منصور الثعالبي. ت . أ/ محمد محيي الدين عبد الحميد . مكتبة الحسين التجارية – القاهرة ط أولىٰ . بدون
- أسرار البلاغة. عبدالقاهر الجرجاني . ت . الشيخ / محمود شاكر . دار المدني . القاهرة . بدون .
- الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم . إبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين الحنفي .ت . د/ عبد الحميد هنداوي دار الكتب العلمية. بيروت. بدون.
- الإعجاز والإيجاز. أبو منصور الثعالبي . مكتبة القرآن – القاهرة . بدون .
- الإيضاح في علوم البلاغة . القزويني . ت . د/ محمد عبدالمنعم خفاجي . دار الجيل – بيروت الطبعة: الثالثة .
- البديع في البديع . عبدالله بن المعتز . الناشر: دار الجيل . ط. الأولىٰ ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.
- البديع في نقد الشعر . ابن منقذ . ت . د/ أحمد بدوي وآخرين . ط الجمهورية العربية المتحدة وزارة الثقافة والإرشاد القومي . بدون .
- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها . د / عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني . دار القلم . دمشق . ط . الأولىٰ . ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م.
- البيان والتبيين . الجاحظ . ت.أ/ عبدالسلام هارون . مكتبة الخانجي . القاهرة . ط السابعة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م .

- التبيان في شرح الديوان . العكبري . ت . أ/ مصطفي السقا وآخرين . مكتبة الحلبي . ط ١٣٥٥هـ.

- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن . ابن أبي الإصبع العدواني . ت . د/ حفني محمد شرف . المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي .بدون .

- التذكرة الحمدونية . أبوالمعالي ابن حمدون. دار صادر. بيروت . ط . الأولىٰ . ١٤١٧ هـ .

- حاشية الدسوقي علىٰ مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني . الشيخ / محمد بن عرفة الدسوقي . ت . د/ عبد الحميد هنداوي . المكتبة العصرية . بيروت. بدون.

- حاشية الصبان علىٰ شرح الأشمونىٰ لألفية ابن مالك . الشيخ / محمد بن علي الصبان . دار الكتب العلمية . بيروت. لبنان .ط . الأولىٰ ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م .

- حاشية عليش علىٰ الرسالة البيانية للصبان . الشيخ / محمد عليش المالكي. ت . أ/ أحمد مزيد المزيدي . دار الكتب العلمية . بيروت . بدون

- الحيوان .الجاحظ . دار الكتب العلمية – بيروت ط. الثانية، ١٤٢٤ هـ .

- خزانة الأدب وغاية الأرب . ابن حجة الحموي. ت. أ / عصام شقيو دار ومكتبة الهلال–بيروت ط ٢٠٠٤م

- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب . عبد القادر بن عمر البغدادي .. ت . أ/ محمد نبيل طريفي . و أ / اميل بديع اليعقوب. دار الكتب العلمية . بيروت . ط ١٩٩٨م .

- الخصائص . ابن جني . الهيئة المصرية العامة للكتاب ط . الرابعة .
- خصائص التراكيب . د/ محمد أبوموسىٰ . مكتبة وهبة . ط الرابعة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .
- درة الغواص في أوهام الخواص أبو محمد الحريري البصري. مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت . ط . الأولىٰ، ١٤١٨/ ١٩٩٨هـ .
- دلائل الإعجاز . الشيخ / عبدالقاهر الجرجاني . ت . الشيخ / محمود محمد شاكر .مطبعة المدني بالقاهرة .ط . الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .
- ديوان الأخطل . ت . د / فخرالدين قباوة .دار الفكر . بيروت . ط . الرابعة . ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦م .
- ديوان الأعشىٰ ت . د. / محمد حسين . مكتبة الآداب بالجماميز . ط ١٩٥٠م .
- ديوان الخنساء. ت. د / إبراهيم عوضين . مطبعة السعادة . القاهرة . ط أولىٰ ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م
- ديوان المتنبي .دار بيروت للطباعة والنشر . ط ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .
- ديوان امريء القيس . ت . أ/ محمد أبوالفضل إبراهيم . دار المعارف . القاهرة . ط الرابعة . ١٩٨٤م .
- ديوان مسلم بن الوليد .ت . د/ سامي الدهان . دار المعارف . ط الثالثة . بدون .
- ديوان المعاني . أبوهلال العسكري.مكتبة القدس . ط. ١٣٥٢هـ.
- الصبح المنبي عن حيثية المتنبي . يوسف البديعي الدمشقي. المطبعة العامرة الشرفية. ط. الأولىٰ ١٣٠٨ هـ .

- الرسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبي و ساقط شعره. الحاتمي . دار صادر . بيروت. ط أولىٰ . ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م .

- الصناعتين : الكتابة والشعر . أبو هلال العسكري . ت .أ/ علي محمدالبجاوي وأ/ محمد أبوالفضل إبراهيم مكتبة عيسىٰ الحلبي . ط الثانية ١٩٧١م.

- الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي. د / يس نصير. دار نينوىٰ. دمشق . بدون .

- سر الفصاحة ابن سنان الخفاجي. دار الكتب العلمية . ط. الطبعة الأولىٰ ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م

- شرح الأشموني علىٰ ألفية ابن مالك . دار الكتب العلمية بيروت- لبنان ط . الأولىٰ ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨مـ

- : شرح درة الغواص في أوهام الخواص . الشهاب الخفاجي المصري . ت . د / عبد الحفيظ فرغلي . دار الجيل. بيروت لبنان ط . الأولىٰ ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

- شرح الديوان. الإفليلي . ت. د/ مُصْطفي عليَّان . مؤسسة الرسالة . بيروت – لبنان ط .الأولىٰ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

- شرح الديوان . الشيخ / عبدالرحمن البرقوقي . دار الكتاب العربي . بيروت . ط ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م .

- شرح الديوان . المعري. ت. د/ عبدالمجيد دياب . دار المعارف . ط . الثانية ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م

- شرح الديوان . الواحدي . ت. د/ ياسين الأيوبي وآخرون . دار الرائد العربي . لبنان ط . أولىٰ ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م .
- شرح كتاب سيبويه . أبوسعيد السيرافي . ت . أ/ أحمد حسن مهدلي. وآخرون. دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ط . الأولىٰ، ٢٠٠٨ م.
- شرح المشكل من شعر المتنبي .ابن سيدة .مكتبة المصطفي . بدون .
- الشعر الجاهلي .منهج في دراسته وتقويمه . د/ محمد النويهي. الدار القومية للطباعة والنشر .القاهرة . بدون .
- شعرية المطلع في القصيدة العباسية . د / بوعلام بوعامر. نشر كلية الآداب . الجمهورية الجزائرية . ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز. يحيىٰ بن حمزة العلويّ . المكتبة العنصرية – بيروت ط . الأولىٰ، ١٤٢٣ هـ.
- العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب . الشيخ / ناصيف اليازجي . ت. د/ عمر فاروق . دار الأرقم بن أبي الأرقم . ط أولىٰ . ١٩٩٥م.
- عروس الأفراح. بهاء الدين السبكي. ت. د/ عبد الحميد هنداوي. المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت ط الأولىٰ، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣م
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه . ابن رشيق .ت .أ / محمد محيي الدين عبدالحميد. دار الجيل . ط الخامسة. ١٩٨١م .
- الفتح علىٰ أبي الفتح . ابن فورجة . ت . د/ عبد الكريم الدجيلي . دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد – العراق ط . الثانية . ١٩٨٧ م.
- فاعلية المعنىٰ النحوي في بناء الشعر. د / محمد حماسة عبد اللطيف . مكتبة الزهراء. عابدين. ط ١٩٨٣ .

- الفن ومذاهبه في الشعر العربي د/ شوقي ضيف . دار المعارف بمصر. ط . الثانية عشرة .
- قضايا الشعر المعاصر . نازك الملائكة . . مكتبة النهضة . ط الثالثة ١٩٦٧م
- الكشف عن مساوي شعر المتنبي . الصاحب بن عباد . ت. الشيخ/ محمد حسن آل ياسين . مكتبة النهضة . بغداد ط . الأولىٰ ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م.
- اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي . أبو العلاء أحمد بن عبد الله المعري. ت . أ/ محمد سعيد المولوي. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية . ط .الأولىٰ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- المتنبي . الشيخ / محمود شاكر . مطبعة المدني . ط ١٩٧٧ م .
- المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث . د/ محمد عبدالرحمن شعيب .دار المعارف . مصر .ط أولىٰ ١٩٦٤م .
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. ضياء الدين بن الأثير. ت . د/ أحمد الحوفي . ود/ بدوي طبانة .دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. الفجالة ـ القاهرة. بدون .
- مختار الصحاح . زين الدين أبو عبد الله الرازي. ت . أ/ يوسف الشيخ محمد . المكتبة العصرية . بيروت . ط . الخامسة. ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م
- المرشد إلىٰ فهم أشعار العرب. د/ عبدالله الطيب المجذوب . دار الآثار الإسلامية. وزارة الإعلام . الكويت. ط الثانية ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .
- مطلع القصيدة العربية ودلالته النفسية . د/ عبدالحليم حفني . الهيئة المصرية العامة للكتاب . ط . ١٩٨٧م .

- مع المتنبي . د/ طه حسين . مؤسسة هنداوي للطباعة والنشر . القاهرة . ط أولىٰ ٢٠١٣ م .
- مفتاح العلوم. أبو يعقوب يوسف السكاكي . ت . أ/ نعيم زرزور. دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان . ط. الثانية، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.
- المنصف للسارق والمسروق منه . ابن وكيع . ت . أ/ عمر خليفة بن ادريس . نشر جامعة قات يونس. بنغازي. ط الأولىٰ، ١٩٩٤ م .
- المنهاج الواضح للبلاغة . أ/ حامد عونىٰ . المكتبة الأزهرية للتراث . بدون .
- موسيقىٰ الشعر . د / إبراهيم أنيس . مكتبة الأنجلو المصرية . ط الثانية . ١٩٥٢م .
- الموضح في شعر أبي الطيب المتنبي . أبوزكريا التبريزي. ت.د/ خلف رشيد نعمان . دار الشئون الثقافية . بغداد .ط أولىٰ . ٢٠٠٤هـ.
- النثر الفنىٰ في القرن الرابع الهجري د/ زكىٰ مبارك . مؤسسة هنداوىٰ للتعليم والثقافـــــــة ٠ القاهرة ٠ بدون .
- نظرية البلاغة العربية، دراسة في الأصول المعرفية . د/ أحمد سعد محمد. مكتبة الآداب. القاهرة. مصر. ط أولىٰ . ٢٠٠٩م .
- ينظر : النقد المنهجىٰ عند العرب د/ محمد مندور ٠ . دار نهضة مصر ٠ ط ١٩٩٦م ٠ .
- نهاية الأرب في فنون الأدب . النويري. دار الكتب والوثائق القومية . القاهرة ط . الأولىٰ، ١٤٢٣ هـ .

- الوساطة بين المتنبي وخصومه . القاضي الجرجاني. ت . أ/ محمد أبو الفضل إبراهيم و أ / علي محمد البجاوي مطبعة عيسىٰ البابي الحلبي وشركاه. بدون .

- يتيمة الدهر . الثعالبي . ت . د/ مفيد قميحة . دار الكتب العلمية . بيروت . ط أولىٰ . ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م .

المجلات :

١- مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية. المجلد السادس من العدد الثلاثين .

٢- مجلة الرسالة (المتنبي في ذكراه بمناسبة الألفية) العدد ١٣٠ – إصدار عام ١٩٣٥م .

فهرست الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة	٣٠٩-٣١٤
التمهيد :	٣١٥-٣٢٢
أولا : التراث النقدي عند أبي هلال العسكري .	٣١٥-٣١٩
ثانيا : ثبت بأبيات المتنبي التي نقدها أبوهلال في الصناعتين .	٣٢٠-٣٢٢
الفصل الأول : نقدات أبي هلال لألفاظ أبي الطيب .	٣٢٣ - ٣٧٣
الفصل الثاني : نقدات أبي هلال لمعاني أبي الطيب .	٣٧٣- ٤١٣
الفصل الثالث : نقدات أبي هلال لمطالع أبي الطيب .	٤١٤ - ٤٧٥
الخاتمة .	٤٧٦ – ٤٧٧
المصادر والمراجع .	٤٧٨ – ٤٨٥
فهرس الموضوعات .	٤٨٦